www.riwaya.ga

5

الزائر

حسن المحلبي

www.riwaya.ga

مقدّمة

إن كانت هذه هى المرة الخامسة لك معى ؛ فأنت تعرفنى من لقاءاتنا السابقة حتمًا ، وتعرف أننى (سامر رمضان) ، سائق تاكسى حاليًا ، وخبير فى الأمور التقنية والإلكترونية سابقًا ، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلًا من السجن ؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم ، ذات مرّة ..

إن كانت هذه هى المرة الخامسة لك معى ؛ فأنت تعلم أننى متزوج، وأن اسم زوجتى (ديالا) ، وأنّ ابنى (كريم) فى الصف الأوّل الابتدائى ، وأنّ لى جارًا صحفيًا اسمه (يوسف) ، وأننى تعرّفت بطريقة غريبة نوعًا ما على رائد الشرطة (منذر خليل) ، الذى يريد أن يكون مهمًا بأىّ شكل ، وعلى (ديمترى) عالم الفيزياء الكيميائية الذى يعشق البوم ، المتثائب طوال الوقت ، وعلى (همام خميس) ، الممرض الذى يقول بيتين من الشّعر كلّ دقيقتين ..

إن كانت هذه هى المرة الخامسة لك معى ؛ فأنت تعلم أننى قدمت استقالتى من المخابرات العامة ، وتفرغت للعمل كسائق تاكسى ، بعد أن أصبت بثلاث رصاصات فى صدرى بسبب إحدى عملياتى القديمة ، وبعد أن شعرت بالملل الشديد من كل تلك الأمور التى أشعر أنها مناسبة للأفلام أكثر من الواقع ؛ فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتل والاغتيال ، وما شابهها من أمور لم تعد تثير حماسى ..

إن كانت هذه هى المرة الخامسة لك معى ؛ فأنت تعلم أننى تلت إعجا
(ديمترى) و (منذر) ، وأنهما أخبرانى أننى سأعمل معهما فى أية مهم
جديدة لهما ، بعد افتتاح قسم المخابرات العلمية ، والذى أنا فيه مشرف ع
القسم التقنى .. سأعمل معهما بصورة رسمية طبعًا ، ولكن أمام الكل ، أ
مجرد سائق تاكسى بسيط ..

أمّا إن كانت هذه هى المرة الأولى لك معى ؛ فأنصحك بمراجعة السطو
آنفة الذكر ، أو الكتيبات الأربع السابقة !

* * *

www.riwaya.ga

www.riwaya.ga

قبل السفر ..

انساب صوت (أسمهان) فى التاكسى (الكامرى) الخاص بى ، دافئا جميلا يبعث الراحة فى القلب ، وأغلقتْ عينىَ فى استمتاع وأنا أطيرَ معها ومع صوتها وكلماتها ..

هذه مطربة منفردة ، حقيقية جدًا ، حقيقية للغاية ، إلى حدّ أننى أنسى ما حولى وأنا أستمع إليها ..

" يا حبيبى تعال الحقنى شوف اللى جرالي

من بعدك "

انتزعنى من شرودى بموسيقاها وألحانها أصوات السيارات من خلفى ، فأنا أقف على إشارة مرور ، وقد نسيتْ نفسى ، مما جعل كل من خلفى يطلق آلة التنبيه فى سيارته بكل غضب وحدة ، لأجل هذا الوغد الذى يجلس فى سيارته ، والإشارة تحوّل لونها إلى الأخضر ، مغلقًا عينيه بكلّ استرخاء مستفزّ !

هذا الوغد الذى هو أنا بالطبع ..

أبتسم وأنطلق بالسيارة ، متجاهلا بعض الأيادى التى امتدت لى بالإشارة الشهيرة كى أقف لهم ، ولكنى كنت على عجلة من أمرى كى ألتقى بالعزيزين ، (ديمترى) و (منذر) ..

كل يوم ، تتوطد علاقتى بهما أكثر وأكثر ..

www.riwaya.ga

كلّ يوم ، أكتشف أشياء جديدة عن (منذر) .. هذا الصديق الجميل الذ
اكتشفت أنه يحب (هيام) جدًا ، وأنها تحبه أكثر مما هو يحبها ، لكنه
يؤجلان فرصة أن تتعرف عليها حتى وقت آخر ، بالرغم أن (منذر) بعد أن
مغامرة خضناها معًا ، تعرض لإصابة من مصاص الدماء النفسي ذاك ، إلهام
الرحمن الخطيب) ، وأيضًا لم ترها ، ولم تأت لتزوره في المستشفى ..

كلّ يوم ، أكتشف أني لا أعرف الكثير عن (ديمترى) .. فقط ما أخبرني
به ، فقط ما أعرفه عنه ..

هناك غموض هائل يحيط به !

غموض قاتم ، وكأنه يضرب حول نفسه جدارًا عاليًا من السرية المطلقة
يمنع لأي أحد أن يقترب منه ، أو أن يعرف عنه شيئًا ، ما لم يكن بإرادته
ومزاجه ..

أفكر بهذا وأتنهد ، من أنا لأتحدث عن الغموض ، بعد كلّ ما مررت به
في الأسابيع الماضية ؟!

أتذكر بلمح البصر ، كلّ تلك الأحداث الغريبة التي مررت بها ، والتي
أعادتني رغم أنفي إلى عملي في المخابرات ، وبصدفة بعيدة عن الصدفة
جدًا .. صدفة تربطني مع (مونجاسا) و (دوراك) و (إيزين) ، الذين لم
أعرف عنهم إلا أسماءهم ، والذين ـ كما يبدو ـ ينتمون لعالم آخر ، غريب
بعيد ، ومتوحش !

ما هذا بالضبط ؟!

www.riwaya.ga

كيف يحصل هذا معى ؟! ولماذا ؟!

يجب أن أسأل نفسى هذه الأسئلة كلّ يوم .. يجب أن تمتلئ مدونتى الإلكترونية بعشرات الأسئلة الشبيهة والمتفرعة من الأسئلة السابقة ، فقط كى تزداد حيرتى ، وقلقى ، وتوتّرى ، الذى أحاول كثيرًا أن أنشغل عنه ، وأن أقنع نفسى أنه لا شىء مثير للاهتمام هنا .. كل الأمور هادئة ..

أتوقف أمام شقة (ديمترى) ، ألمح سيارة (منذر) السوداء من طراز (مازدا) .. أنزل من السيارة وأتجه للشقة ..

بعد أن ضغطت على جرس الباب ، فتح لى (ديمترى) الباب ، بشعره الطويل ، ولحيته السوداء الرفيعة الطويلة ، وعلى وجهه ابتسامة مشرقة .. كان يرتدى الملابس السوداء المعتادة التى يحب ارتداءها .. تعانقنا ، وكان (منذر) بعيدًا عنى قليلًا ، مع البطريق كعادته ، يلاعبه ، ويداعبه ، ويلتقط بعض الصور معه !

شقة (ديمترى) العجيبة .. لم أر فى حياتى شبيهًا بها ، ولا أظننى سأرى .. ما زلت أشعر بنفس الدهشة التى أحسّها كلما دخلت هذه الشقة ، مع كل تلك الأجهزة الإلكترونية الحديثة ، والحيوانات الصغيرة الصامتة ، والأقنعة والتماثيل ، ومجلدات الكتب القديمة والمخطوطات ، واللوحات المعلقة ، وجثة (فابيو سكاشيتشى) طبعًا ..

الجثة الحية !

عالم من المتناقضات عند (ديمترى) !

www.riwaya.ga

سألنى وهو يربت على كتفى بمرح ، بعد أن تعانقت مع (منذر) الذى اقترب وعلى وجهه ابتسامة كبيرة :

ـ وأى رياح ألقت بك هنا يا (سامر) ؟!

قلت :

ـ لن أنكر أننى اشتقت إليكما رغم أننا منذ يومين التقينا بصورة عابرة قبل أن يخرج (منذر) من المستشفى بعد إصابته ، لكننى أردت تودعكما قبل السفر ..

قلتها ونظرتُ إلى (منذر) مردفًا :

ـ .. كيف أصبح كتفك ؟!

مدّ يده اليسرى وتحسس بها موضع الإصابة ، وقال :

ـ أفضل قليلًا ، الحمد لله ..

ـ ذلك الوغد أصابك فى كتفك مباشرة !

ابتسم وقال :

ـ من حسن حظى طبعًا ..

ثم سألنى مغيرًا الموضوع :

ـ .. إلى أين قررتم الذهاب ؟ (شرم الشيخ) أم (تركيا) ؟!

ـ (تركيا) .. وستقلع الطائرة بعد عدة ساعات ..

www.riwaya.ga

ـ بلدهم رائع ، سيدهشك النظام الذى لديهم ، وطريقتهم الحلوة فى ممارسة الحياة ، وأسواقهم التى يعرف من فيها أنك من دولة عربية من مجرد النظر إلى ملامحك ..

قلت بدهشة :

ـ حقًا ؟!

قال بدهشة أكبر :

ـ ألا تعرف هذا ؟ ألم تزرها من قبل ؟

ـ كلا ، هذه أول مرة ..

بيتسم :

ـ أرجو أن تكون رحلة موفقة وأن تستمتعوا .. صدقنى ، ستكون رحلة ممتعة للغاية ، إن كانت الشركة التى ستذهبون معها من الطراز الذى يهتم بالمحافظة على الزبائن !

ـ أشكرك ، أرجو حقًا أن نستمتع ، وأرجو أن تكون الشركة كما تقول ..

قلتها ، قبل أن يسألنى (ديمترى) فجأة كمن تذكّر شيئًا :

ـ هل أخبرت السيد (قاسم داود) ، مدير المخابرات العلمية ، عن السفر ؟!

ـ بالطبع ، ولم يعترض بالتأكيد .. لا بدّ أن أذهب بزوجتى وابنى إلى مكان لينتفسا فيه هواء آخر ، بعد كل الأحداث الماضية التى مررنا بها ، والتى كان لها أثرها السيئ نوعًا ما علينا جميعًا ، بالذات على (ديالا) ..

www.riwaya.ga

ثم أردفت باهتمام :

ـ .. ما أخبار (سراج) ؟!

ـ مساعد (عبد الرحمن الخطيب) ، مصاص الدماء النفسى ذاك ؟!

أهزّ رأسى بقوة موافقًا ، محاولًا بنفس الوقت ألا أتذكّر شيئًا من المواجهة العنيفة مع ذلك الوغد ، وكل تلك الجثث التى وجدناها :

ـ نعم ..

يزفر بقوّة ويقول ، وهو ينهض من مكانه :

ـ نحاول قدر الاستطاعة أن ندرس صفاته وخصائصه ، وذلك لنأتى القاتل بالذات ، وما زالت أمامنا الكثير من الألغاز ، لكننا نحاول على الأقل

ـ جيّد جدًا .. جيّد ..

يهتف (منذر) :

ـ وماذا بالنسبة للصغيرين المسكينين يا (ديمترى) ؟! (رضا) و (على) ؟!

التفتُّ بلهفة إلى (ديمترى) ، ليقول وقد تألقت عيناه ، بعد أن دار بجسده كله إلينا :

ـ ألم أخبركما ؟!

أهتف به وقد شعرت أن هناك خبرًا رائعًا :

ـ ماذا ؟!

قال :

ـ لقد عدتُ إلى بيت (عبد الرحمن) ، وبحثت كثيرًا بكلّ ممتلكاته ، حتى استطعت إيجاد بعض الأوراق المخفية ، التى ساعدتنى أنا وصديقى (رياض محمود) ـ صاحب المخطوطات القديمة الذى استعنّا به فى مواجهتنا مع ساحرات (المالاكان) ـ على أن نبتكر محلولًا قادرًا على عكس الذى حدث مع الولدين ..

شهق (منذر) فى انبهار :

ـ هل تعنى ... ؟

ولم يكمل تساؤله ، بينما ارتجفت شفتاى وأنا أقول :

ـ حقًا ؟! هل سيعودان أطفالًا كما كانوا ؟! وسيذهب كلّ ذاك الشيب والملامح الكبيرة والتجاعيد عنهما ؟!

أجابنى فى ظفر وقد بدا عليه الاستمتاع لأنه أثار دهشتنا وإعجابنا حتى هذا الحد :

ـ نعم .. تدريجيًا وليس مرّة واحدة ، مع الوقت ، سيستردان حياتهما وطفولتهما ..

استرخيت فى مقعدى مبتسمًا ، مراقبًا إياه وهو ينهض من مكانه، متجهًا إلى البومة التى لم أنتبه إليها الآن ..

(ديمترى) وبومته .. هذا الكائن الغريب الذى أحب شكله ، لكننى أستغرب تعلق (ديمترى) به ، أو بها !

ـ كيف أصبحت بومتك ؟!

ـ كما هى .. لا جديد إلا أننى أشتاق أن آخذها معى أحيانًا ، لولا ذلك القرار الذى أخذته وأخبرتك عنه !

رمقنى (منذر) بنظرة جانبية سريعة .. (منذر) هو الذى أخبر (ديمترى) أن يكف عن اصطحاب بومته معنا فى كل مكان نذهب إليه .. هو عالم فى الفيزياء الكيميائية وليس شخصية كرتونية سخيفة للأطفال !

أنا كنت المحرض بالطبع ، أنا من أخبر (منذر) أن ينقل هذه الملاحظة إلى (ديمترى) ، وأحمد الله أنه استجاب ..

سألنى (منذر) بغتة :

ـ هل من اختراعات جديدة يا (سامر) ؟!

ثم التفت إلى (ديمترى) :

ـ .. ويا (ديمترى) ؟!

ابتسمت وقلت ببساطة :

ـ فى هذه الأيام ، لا .. أشعر أنه يجب أن يكون هناك محفز قوى لى كى أصنع شيئًا جديدًا ، مهمة ما ، عدو خفى ، أوامر عليا ، رغبة دفينة ، خبر فى صحيفة أو فى موقع إلكترونى .. أشياء كهذه تثير فىّ الشعور بأن أذهب إلى معملى وأدواتى ..

ـ معملك ؟!

كان هذا السؤال باستغراب من (ديمترى) ، لأضحك وأقول له وأنا أنهض من مكانى :

ـ نعم ، معملى .. هل تظننى أصنع الأسلحة أو الاختراعات الصغيرة وأنا فى المطبخ ؟! أو فى غرفة النوم مثلاً ؟! معملى يا صديقى هو مكتبى ، فيه أكتب فى مدونتى ، وفيه أقرأ الروايات الجديدة للمؤلفين الذين أتابعهم ، وفيه أتصفح الإنترنت وأتابع الجديد حول العالم ، وفيه أقوم بصنع ما أصنعه ، واختراع ما أخترعه أحيانًا ، بدافع الضرورة أو الملل ..

همّ (ديمترى) أن يقول شيئًا ، لكن فجأة ، رنّ هاتفى ، وظهرت عليه صورة (ديالا) واسمها !

ابتسمتُ فى وجهيهما وأنا أرفع الهاتف أمامهما ، قبل أن أكلمها وأخبرها أننى قادم على الفور ..

ـ حسنًا ، لا بدّ أن أذهب ..

ـ ابتعد عن المشاكل ، ولا تدسّ أنفك فيما لا يعنيك ..

كانت هذه من (ديمترى) ، أما (منذر) فقال :

ـ أشعر أن المشاكل ستجده هذه المرة !

قالها فضحكنا جميعًا ..

.. هل من المعقول أن تلاحقنى المتاعب ، حتى هناك ؟!

* * *

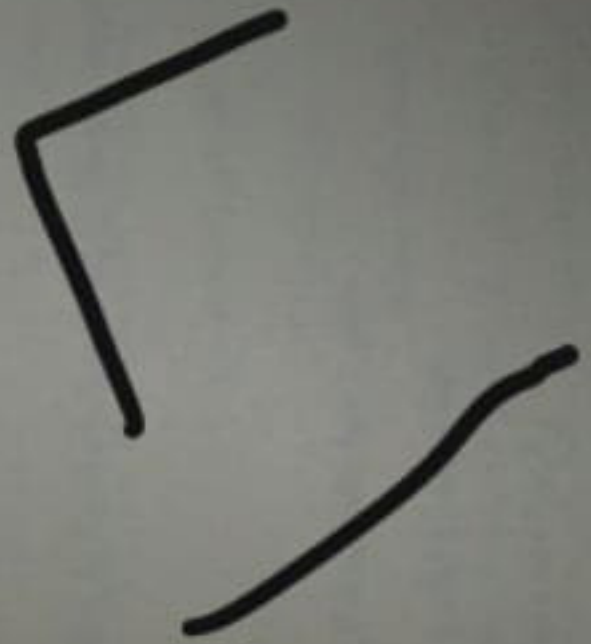

١٧

٢ مواجهة ..

هبطت الطائرة فى نعومة على أرض المطار فى (إسطنبول) ، لتحكى لنا براعة السائق الذى جعلنا نشعر وكأنه يقود سيارة عادية بكلّ هدوء وليس طائرة فى الجوّ بأقصى سرعة ، بينما انفجر ابنى (كريم) فى الضحك مصفقًا بيديه باستمتاع شديد ، وهو ينظر من النافذة إلى عجلات الطائرة وهى تسير بسرعة على الممر ، هاتفًا :

ـ انظر يا أبى ، لقد هبطنا ..

ابتسمت له ، ونظرت إلى (ديالا) التى ابتسمت بوجهه بدورها، وقلت :

ـ نعم ، حمدًا لله على سلامتنا ..

صفق البعض من حولنا كما يحدث عادة فى رحلات السفر عند الهبوط ، وانبعث فجأة صوت كابتن الطائرة يهنئنا بالوصول ، ويخبرنا بدرجة الحرارة والتوقيت المحلى ..

نزلنا وأنهينا الإجراءات بسرعة نحن والمجموعة السياحية التى نحن معها ، ثم جلسنا ننتظر بعض الوقت كى نستلم حقائبنا ..

جلسنا ، وكالعادة انطلق (كريم) يركض حولنا ، بينما انشغلت (ديالا) بالحديث مع سيّدة من مجموعتنا ، وأنا أخذتُ أتأمل وجوه الجميع ..

أحبّ تأمل الوجوه !

استنشقت نفسا عميقا ، فعلا .. هذا ما كنت أريده .. رحلة هادئة
أسرتى إلى بلد جميل ، فيه الكثير من الأشياء التى يمكننا فعلها والاستمتاع
بها ، وبالذات أننا مع مجموعة سياحية .. لن نقلق من نصب الشركات
المحلية هنا ، فمع مجموعتنا سنذهب إلى أشهر الأماكن فى (إسطنبول)
وما حولها ..

أخذنا الحقائب وانطلقنا فى حافلة سياحية كبيرة إلى الفندق ، والذى
يبعد بعض الأمتار عن الميدان الشهير (تقسيم) ، الذى يمتد منه شارع
(الاستقلال) ، المزدحم بالناس ، والزوار ، والمقاهى ، والمولات ،
والمتاجر بكافة أشكالها وأنواعها ، وبأولئك الموهوبين الذين يغنون أو
يعزفون أو يرقصون على جوانب الطريق ، لكسب بعض المال ..

قمنا بتغيير ملابسنا فى الفندق ، قبل أن ننزل على الفور ونتجه إلى
شارع (الاستقلال) ، أنا و (ديالا) و (كريم) ..

مشينا بعض الوقت ، وأخذنا عدة صور (سيلفى) سريعة مع القطار الذى
يتكون من مركبة واحدة فى شارع (الاستقلال) ، قبل أن يجوع (كريم) ،
ويذكرنى أنا ووالدته بأننا أيضا جعنا وربما أكثر منه .. فى الطائرة لم نأكل
شيئا سوى تلك الوجبة الضئيلة التى لا تشبع طفلا !

اخترنا أحد المطاعم دون معرفة سابقة به ، فقط لأنه مزدحم بالناس ،
ووجدنا بصعوبة طاولة عند الشرفة ، فى الطابق الثانى ، مطلة على الشارع
وتكشف الكثير مما يدور بالأسفل ..

طلبنا بعض الأطباق التى لا نعرفها ، فما فائدة أن نكون فى بلد غريب عنا بكل شىء ، وأن نطلب منه صنفًا نعرفه ونكاد نملّ منه فى بلدنا ؟

ليس هناك أجمل من تجربة طعم جديد ومختلف !

أخذتْ كعادتى أتأمل الناس من الأعلى ، وانطلقت عيناى تصولان وتجولان فى كلّ مكان ، قبل أن يستوقفنى مشهد غريب ، أثار فضولى وقلقى حتى أقصى حد ..

فعلى سطح العمارة المقابلة تمامًا ؛ كان هناك شاب ، يبدو فى منتصف العشرينيات ، شاربه ضخم وشعره أسود خشن ، ملامحه حادّة ، ولمحت من مكانى أنه يرتدى معطفًا أزرق اللون ، يتناسب مع بنطاله الأزرق ..

وكان يحاول أن يخفى نفسه كى لا يراه أحد ..

شكله غريب .. ملامحه لا تدلّ على دولة بعينها !

لم أكن لأراه لولا الزاوية التى أجلس بها ، أعتقد أننى الوحيد الذى يراه من هذه البقعة .. ويرى قلقه واهتمامه الشديدين وهو ينظر للأسفل ، مراقبًا رجلًا ما !

حاولتُ أن أتجاهل الأمر وأن أبقى تركيزى مع زوجتى وابنى ، لئلا يجرنى إلى متاعب ليس لى أى علاقة بها ، لكنّ حواسى استفزتنى كى أراقبه أكثر ، دون أن أبدى شيئًا من انفعالاتى ..

قالت (ديالا) وقد لاحظت شرودى وتوقفى المفاجئ عن تناول الطعام :

– (سامر) ، هل كلّ شىء على ما يرام ؟!

ابتسمت فى وجهها ، وتناولت لقمة أخرى من الوجبة :

ـ نعم ، نعم ، لا تقلقى ..

نظرتْ إليه من جديد ، كان التحفز يبدو على وجهه أكثر ، ثم نهض مرة واحدة ، فجأة ، واختفى من أمامى !

طريقته وسرعته لم تكن تعنى إلا شيئًا واحدًا :

يريد النزول للشارع بسرعة ، كى يتابع ذلك الشخص ، الذى كان يراقبه فى الأعلى من مكانه ، قبل أن يذهب !

عقدت حاجبىّ بشدّة قبل أن أنتفض وأنهض من مكانى بغتة ، بطريقة أفزعت (ديالا) ، وجعلتها تقول لى :

ـ ماذا هناك ؟!

ـ إن لم أعد خلال نصف ساعة اتصلى مع (ديمترى) كى يتعقّب هاتفى ، واذهبى إلى الفندق على الفور ..

نظرت إلىّ بذعر ، أمسكت بيدى وقالت :

ـ ما الذى يحدث ؟!

ـ يبدو أنه العمل ، يلاحقنى رغمًا عنى حتّى هنا !

قلتها وأنا أهزّ كتفىّ ، ثم انطلقت بسرعة الصاروخ ، متوجهًا نحو الصالة المقابلة كى أنظر فى الشارع أمامها وحولها ، بحثًا عن ذلك الرجل ، متحاشيًا أن أصطدم بالكثيرين ممن امتلأت عيونهم بنظرات الدهشة منى ومن حركتى وسرعتى !

أخذت أتلفت حولى ، أنظر يمنة ويسرة ، ركضتُ ووقفت على حافة مرتفعة ، ورأيته ، حددته بسرعة من لون معطفه الواضح ..

كان بعيدًا عنى بمسافة معقولة ، ويمشى بسرعة ..

اندفعت خلفه وكلّى قلق ولهفة وتوتّر ، حتى أصبحتُ خلفه تمامًا ، بينى وبينه امرأة مع طفلتها ، وحاولت رغم إسراعى أن تظلّ ملامح وجهى جامدة ، لأنه التفت فجأة إلى الخلف كى يتأكد من أنه لا أحد يلاحقه ، على الأغلب ، قبل أن يحث الخطى أكثر نحو الذى يمشى أمامه ..

كان أمامه رجل معه حقيبة بنية اللون ، لم أمح ملامح وجهه لكن يبدو عليه أنه فى نهاية الأربعينيات أو بداية الخمسينيات ، فقد اختلط البياض والسواد بشعره ..

اقترب منه جدًا ، حتى صار ملاصقًا تمامًا ، خصوصًا وقد كان هناك ازدحام فى الشارع ، قرب أحد المتاجر الراقية الضخمة ، والذى تجمّع على بابه الناس ، ربما بسبب هذه الشخصيات الكرتونية التى أمامنا ، أو بسبب عروض رائعة لديه ..

توقعت أن يحدث شىء ما ، أن يقول له شيئًا ، أن يهدده مثلا ، أن أكون مخطئًا وأن يكون هذا الرجل صديقه ويريد أن يمازحه معه خدعة أو مقلبًا ما ، لكننى فوجئت ـ مع الزحام الشديد ـ بذلك الرجل يسقط على الأرض بقوة ، وقد انطلقت من فمه صرخة ألم مكتومة ..

وكان مغروسًا فى ظهره سكين ..

.. تمامًا عند القلب !

* * *

انتبه له بعض من حولنا ، وأطلقت بعض النسوة والفتيات صرخات ومن يشرن إليه بعصبية وتوتر ، بينما تابعت عيناى ذلك الذى طعنه ، وجن ينزف بعض الدماء ..

نعم ، هو الذى طعنه بالتأكيد ..

قبل أن يختفى بين الزحام ، انطلقت خلفه ، وأخذت أركض وراءه بأقصى سرعتى ، كى لا يهرب ، وأنا مطمئن أن الإسعاف سيأتى سريعًا ، مع كل هذه الأعداد الهائلة من الناس ..

هذه محاولة قتل ، يعلم الله وحده إن كان سينجو منها ذلك الرجل أم لا !

التفت فجأة إلى الخلف ورآنى ، وانتبهتُ بهذه اللحظة أن حقيبة الرجل البنية التى كانت معه ، أصبحت بحوزة هذا الوغد !

ـ أمسكوه ..

صرخت بها بعد أن انتبه إلىّ ، لكن لم يتدخل أحد ، وهو زاد سرعته أكثر ، صار يركض بسرعة ، وأنا أركض خلفه ..

وفجأة اندفع فى شارع جانبى ، على بابه عربة لبيع الكستناء ، ارتطم بها وبصاحبها الذى أطلق سبابًا ساخطًا ، واندفعت أنا خلفه محاذرًا أن يغيب عن عينى ، مسرعًا قدر استطاعتى ، شاكرًا الله فى سرى أنّى عدت للتدريبات فى نادى اللياقة البدنية وبناء الأجسام ، القريب من بيتى ، لأننى لم أشعر بالتعب لحظة حتى الآن ، ولم يخفق قلبى وترتفع دقاته إلى درجة مزعجة كما كان قبل عودتى إلى المخابرات العلمية ..

تناقصت المسافة بيننا أكثر وأكثر ، وهو يواصل هروبه ، ممسكًا الحقيبة بيديه الاثنتين بشدّة ، كأنما يخاف عليها ، أو يخاف منها .. يخاف أن تهرب منه !

وقفزتُ ..

قفزت بأقصى ما لدىّ من قوة ، واستطعت على الأقل أن أكون قريبًا من ساقه اليمنى ، لأتعلق به ، ونسقط معًا على الأرض وأجسادنا تصرخ من الألم ..

عاجلته بلكمة على صدغه بكلّ غضب ، ليرتد رأسه إلى الخلف.. نهضت واقتربت منه بسرعة ، ليرفع ساقه أمامى ويركلنى بقوة فى معدتى مباشرة ..

شهقت من المفاجأة ، لينهض هو سريعًا ، ويلكمنى فى بطنى مرة أخرى ، ويحاول أن يلكمنى فى أنفى ، ليجد قبضتى تنتظره وتضربه بعنف شديد على أنفه ، ثم فى أسنانه ، ثم على فكه من جديد ..

وقع أرضًا وقد تفجر الدم من فمه ، أخذ يزحف إلى الخلف والحقيبة معه ، يقبض عليها بذراعه اليسرى التى قرّبها إلى صدره ، ويده اليمنى يستعملها مع جسده لدفع نفسه إلى الخلف ..

– لماذا طعنته ؟!

هتفت بها بالإنجليزية بكل غضب وأنا أقبض على ياقتى قميصه، وقربت وجهى من وجهه صارخًا :

ـ .. لماذا ؟!

اندفعت الكلمات مختلطة بالدم من بين شفتيه ، وأجابنى أيضًا بالإنجليزية بلهجة ثقيلة ، ولكنة تركية كما أعتقد :

ـ أنت لا تفهم ، لا تفهم ..

لكمته فى معدته :

ـ من أنت ؟! ولماذا طعنته ؟!

يلوح لى بيده اليمنى وهو ينظر يمينًا ويسارًا كأنما يبحث عمّن ينقذه :

ـ أنت لا تفهم .. لقد أوقعت نفسك فى ورطة يا رجل ! دعنى أذهب ولن أقترب منك مجددًا ..

أصرخ به :

ـ لماذا طعنت ذلك الرجل ؟!

ـ كان لا بدّ أن أفعل هذا ..

أصرخ بحدة :

ـ أخبرنى ..

ـ تم إرسالى كى أراقبه وكى آخذ الحقيبة منه بعد أن أطعنه !

اتسعت عيناى :

ـ تم إرسالك ؟! مع من تعمل ؟! ولماذا أخذت الحقيبة منه ؟! ما الذى يثير اهتمامك فى هذه الحقيبة ؟! ما الذى تحتويه ؟!

ـ هذا ليس من شأنك ..

ـ أخبرنى .. ما الذى تحتويه ؟! أموال ؟! أوراق مهمة ؟! ما الذى تحتويه بالضبط ؟!

تمسّك بالحقيبة ، وقال :

ـ هذه الحقيبة لنا بالأصل ، وكنت أستردّها فقط .. كما أن ما فيها ليس من شأنك .. إنه شىء أكبر منك بكثير !

ـ وهل كل من يريد استرداد حقيبة له ، يطعن الآخرين ؟!

صمت ولم يجبنى ، فاستطردتُ وأنا أقرب وجهى من وجهه ، وأنظر مباشرة فى عينيه :

ـ .. ما الذى تعنيه بأنه شىء أكبر منى بكثير ؟!

لم يجبنى أيضًا ، فسألت :

ـ .. قنبلة مثلًا ؟!

لمعت عيناه سريعًا ولمحت نظرة غريبة لم أعرف معناها ، لكنّها لم تكن مريحة أبدًا ، ثم تمسّك بالحقيبة بشكل أكبر .. مما جعلنى أمدّ يدى كى آخذ الحقيبة منه ، لكن قبض عليها فى شراسة ، هاتفًا بحدّة :

ـ لا ..

لكمته فى أنفه مرة أخرى وأخذت الحقيبة من بين يديه ، وهممت بفتحها لأرى ما فيها ، لكنّه فاجأنى بآخر شىء كنت أتوقعه منه .. على الإطلاق !

لقد أخرج مسدسا صغيرا من جيبه ، ووجهه إلىّ وهو يهتف بكلمة لم أفهمها ، و ..

وأطلق النار ..

على رأسى مباشرة !

* * *

٣

جريمة قتل ..

نظرت (ديالا) حولها بقلق ، نظرت إلى ساعتها فوجدت أنّ أكثر من نصف ساعة مرّت ولم يعد (سامر) بعد ..

(سامر) المجنون ، الذى تجاهل زوجته وابنه واندفع خلف نداء الواجب ..

لا تدرى كيف ، لا تعرف متى وأين ، لكنها تثق بأنه رأى ما يجعله يتحرك على الفور ودون إبطاء !

(سامر) الذى عاد رغم أنف الجميع ليعمل فى المخابرات ، العلميّة هذه المرة ، مؤكدًا لها فى كلّ مرة أن الأمور لن تكون كما كانت فى السابق ، ولن يكون هناك هذه المرة أى تكرار للأحداث التى حصلت من قبل ، من عنف وخطورة ..

كانت تعرف تمامًا أنه لا يقول لها كلّ شىء ، وأنه متفق مع صديقيه وزميليه (منذر) و (ديمترى) ألا تعرف الحقيقة دائمًا ، كى لا تكون مصابة بالذعر والهلع ، طوال الوقت !

فكّرت بهذا بسرعة البرق ، وهى تلقى نظرة قلقة أخرى على ساعتها .. أمسكت هاتفها وحاولت أن تتصل مع (سامر) .. عدة مرات حاولت دون أن يجيب عليها ! هنا زفرت بقوّة ، ثم اتّصلت على (ديمترى) مباشرة ، فلم ينس زوجها أن يعدّل تعرفة الهاتف للاتصال الدولى ، له ولها ، قبل سفرهم .

ـ ألو .. (ديمترى) ؟!

أتاها صوت (ديمترى) بمرح وترحاب :

ـ (أم كريم) .. الحمد لله على السلا ...

قاطعته (ديالا) بصوت مبحوح ، وبنبرة حادة ، حاولت قدر الاستطاعة أن تكون منخفضة :

ـ لا يوجد وقت لهذا يا (ديمترى) ، قبل أكثر من نصف ساعة ، اتصل (سامر) فجأة خارج المطعم الذى أتينا إليه لنتناول بعض الطعام ، وأخبرنى أنه إن تأخر أكثر من نصف ساعة ، علىّ أن أتصل بك ، وأن أخبرك بأن تتعقب هاتفه المحمول ..

قالتها ، ثم أردفت بصوت مختنق :

ـ .. أرجوك تأكد أنه ليس بخطر !

هتف (ديمترى) بعصبية :

ـ ما الذى حدث ؟!

ـ لا أعرف ، رأى شيئًا ، ربما فى الشارع أسفلنا ..

ـ هل أنتم فى شارع (الاستقلال) ؟!

ـ نعم ..

ـ واندفع سريعًا إلى الخارج ، وطلب منك أن تخبرينى عن هذا فيما لو تأخر ؟!

هزّت رأسها وكأنما يراها :

ـ نعم ، وأن تتعقب هاتفه المحمول .. أرجوك ، بسرعة ، أخشى أن يكون قد حصل معه شيء خطير ..

حاول (ديمترى) طمأنتها ، قائلًا :

ـ لا تقلقى ، إنه (سامر) يا (ديالا) .. على الأغلب هو بخير ، وسيعود بعد قليل ليخبرك أنه تأخر لسبب أو لآخر ، بعيدًا عن القلق والتوتر الذى وضعنا فيه ..

سكت عدة ثوانٍ ثم أردف :

ـ .. هل الفندق قريب ؟!

ـ نعم ، عدة دقائق ..

ـ عودى إليه ، وسأحاول أن أعرف مكانه ، وربما حاولت أن أراه عن طريق بث الأقمار الصناعية المباشر ..

قالت (ديالا) بلهفة لم تستطع إخفاءها :

ـ حقًا ؟! تستطيع هذا ؟!

ـ نعم ، بمجرد تحديد مكانه ، وبمعاونة (فابيو) ، أستطيع رؤيته من الأعلى .. المهم أن تعودى إلى الفندق الآن ، وأنا سأطمئنك بعد قليل ..

أغلقت (ديالا) الهاتف معه ، ونهضت سريعًا لتتجه إلى الفندق مع (كريم) ، وقلبها ما زال يخفق ، وألف علامة استفهام ترنّ فى رأسها وعقلها :

www.riwaya.ga

هل (سامر) بخير ؟!

.. هل ؟!

* * *

فور أن رفع الشاب مسدسه فى وجهى وأطلق النار ، اندفع جسدى إلى اليمين بسرعة خرافية ، لأتفادى الرصاصة ، التى رغم حركتى وسرعتى مرّت بجانب أذنى ، واخترقت الحائط من خلفى بدوىّ رهيب ..

عاجلتْ الشاب وفاجأته بما لم يتوقعه ..

لقد ألقيت الحقيبة باتجاهه بكل ما أملك من قوّة !

طارت وارتطمت بيده التى تحمل المسدس ، ليسقط المسدس على الأرض ، ويختل توازن الشاب للحظات ، كانت كافية لى كى أكون عنده وألكمه مرة أخرى ، على معدته ، وأسنانه ، وأنفه ، وعدة لكمات متتابعة على فكه ، جعلته يصرخ ، لولا يدى التى أطبقت على فمه !

كنت أعلم أن صوت الرصاصة لا بد وأن يجتذب بعض الفضوليين ، أو رجال الشرطة التركية إلى مكاننا ، لكن كان لا بد لى من أن أتصرف بسرعة .

كان يتلوى على الأرض من الألم ، وقد تكور حول نفسه فى وضعية الجنين ، لكننى اقتربت منه وأخذت الحقيبة التى أمامه ، وهممت أن أقول شيئًا لولا أنه أخرج سكينًا آخر من جيب له ، وانقض على يريد طعنى بطنى ..

ما هذا بالضبط ؟!

هل يحمل مستودع أسلحة بين طيات ثيابه ؟!

تفاديت الطعنة وملتُ إلى اليمين فى آخر لحظة ، لكن هذا لا يمنع أنه مزق طرف قميصى .. جلست فوقه وكبلت يديه وأخذت السكين من يده ، لكنه ضرب فكى برأسه ، لأتراجع إلى الخلف قليلًا ، مما جعله يقبض على المسدس الذى كان قد وقع بجانبى مباشرة ، ويصرخ فى وجهى مباشرة بكل غضب وظفر ، وعيناه تلمعان بقوة وقسوة ، ويده تكاد تضغط على الزناد ..

السكين فى يدى ، والمسدس فى يده ، وأنا فوقه ، مما جعلنى آخذ القرار الأصعب !

كان لا بد أن أطعنه فى حنجرته مباشرة لئلا أموت !

كان لا بد أن أفعل هذا ، وأن أقترب بجسدى من جسده أكثر وأنا أفعل هذا ، ليتفجر الدم من حنجرته ، وتضغط يده على الزناد لكن بعد ما ارتخت ذراعه للحظة ، مما جعل الرصاصة أيضًا تنطلق ، بعيدًا عنى ..

أسلم الروح بعد أن صدر صوت كالغرغرة من حلقه ، وأنا أنظر إليه ، وعيونى متسعة وأطرافى مرتجفة ، وقد أتى بعض الدم على وجهى وملابسى ..

لقد قتلته !

لأول مرة منذ زمن طويل ، أقتل شخصًا بهذه الطريقة ، وهو أمامى مباشرة ..

صوت أقدام ، صوت خطوات تقترب بسرعة ..

الشرطة !

لا بدّ أن أنهض على الفور ، لا بدّ أن أهرب وأن أذهب من هنا لأبلغ في ورطة أخرى معهم ، دون أن يفهموا شيئًا ، ودون أن يتيقنوا من أن معلومة قد أقولها ..

نهضت ، بعد أن فتشت جيوبه وأخذت هاتفه المحمول ، وبعض الأوراق التي كانت معه ، ومحفظته طبعًا .. ثم تناولت الحقيبة ، وركضت ..

سمعتُ من يصرخ من خلفي بالتركية ، لكني لم أفهم ، ولم أهتم ، ولم أتلفت لأرى ..

لا بدّ أن أعرف أكثر :

من هذا الشاب ؟! من وراءه ؟! هل هناك قنبلة في هذه الحقيبة أم أن هناك شيئًا أخطر ؟!

أخذت أركض بأقصى سرعتي ، والمسافة تتناقص بيني وبين من يركض خلفي .. لحسن الحظ لم يرني أحد في هذه الأزقة الخلفية الصغيرة .. لا بدّ أنّ من سيراني بهذه الحالة سيذعر جدًا من منظري ، وأنا أركض بالحقيبة وعلى وجهي وملابسي دماء ذلك الشاب الذي قتلته ، كي لا يقتلني ..

وجدت بابًا مواربًا فدخلته ، كان أشبه بمخزن مهجور ، فيه الكثير من الأثاث المستعمل ، وأجزاء متفرقة من سيارات قديمة ، وهناك رمال متنوعة بالطبشور على الأرض .. لا بد أن بعض الأطفال يستخدمون هذا المكان كملعب خاص لهم ..

رغم أنفى ابتسمت ، وجلست خلف صندوق خلفى لسيارة فى نهاية المخزن هذا ، وأخرجت هاتفى المحمول .. هناك عدة اتصالات من (ديالا) ، وهناك (ديمترى) ، الذى يتصل على الآن ، بهذه اللحظة تمامًا ، بإلحاح !

ـ (ديمترى) .. هذا أنا ..

قلتها بخفوت ، محاذرًا أن يصدر منى أدنى صوت ، فأتانى صوته هادرًا :

ـ أين أنت يا رجل ؟! اتصلت عليك أنا و (ديالا) بعد أن أقلقتها كثيرًا ، همت أن أتعقب هاتفك لأعرف أين أنت لكن اتصالى لك كان أسرع .. وها أنت تجيب .. ما الذى يجرى ؟!

قلت ، محاولًا الحفاظ على نفس درجة الصوت :

ـ ثمة أمر خطير عليك أن تعرفه يا (ديمترى) ..

سألنى بجدية :

ـ أى أمر خطير يا (سامر) ؟! هل هناك مهمة سرية أوكلك بها السيد (قاسم) دون أن تخبرنا بها ؟!

سكتُّ قليلًا ، ثم أخبرته سريعًا بما جرى قبل قليل ، إلى أن وصلتُ إلى نقطة أننى قتلت الشاب !

ـ قتلته يا (سامر) ؟!

ـ نعم ، كان على وشك أن يقتلنى .. كان على وشك أن يضغط الزناد ليفجر رأسى ..

أحسست أنه أومأ برأسه متفهمًا ، قبل أن يقول باهتمام وقلق :

ـ حسنًا ، أين أنت الآن ؟!

ـ دخلت مخزنًا مهجورًا فى أحد الأزقة الخلفية ، لحسن حظى لم يأتى أحد حتى الآن ..

ـ لكنهم سيقومون بتمشيط المنطقة يا (سامر) .. سيجدونك عاجلًا أم آجلًا !

ـ وجهى مغطى بالدماء ، وملابسى كذلك ، خروجى هكذا حتى لو لم يرنى أحد من رجال الشرطة ، سيكون مريبًا للغاية ..

قلتها ونظرت حولى ، كان بجانبى بقايا بنطال ممزق ، استعملتها لأمسح وجهى باشمئزاز .. بينما قال (ديمترى) ، وقد تغيّرت نبرة صوته ، وسمعت بالخلفية صوت يديه تجريان على لوحة المفاتيح بسرعة مدهشة ، فطن الأغلب هو يجلس أمام حاسوبه :

ـ هل عرفت أىّ شىء عن هذا الذى قتلته ؟

ـ لا شىء ، لكن الحقيبة معى ، وأخذت بسرعة كلّ ما فى جيوبه من أوراق ، ومحفظته ، وهاتفه المحمول أيضًا ، و ..

لم أكمل عبارتى ، إذ أن أصوات الأقدام صارت تعلو أمام الباب الذى يقود إلىّ ، وسمعت صوتًا صارمًا يقول شيئًا بالتركية ، لم أفهمه ، لكن القصد كان واضحًا .. سيفتشون المكان ..

.. وسيجدوننى !

* * *

دخلت (ديالا) إلى غرفة الفندق ومعها (كريم) .. ألقت بنفسها على السرير وحدّقت بالسقف ، وعيونها ممتلئة بالدموع ..

(سامر) وفي أول ساعة لهم في (تركيا) ، اختفى عن الأنظار بعد أن قال تلك العبارة الغامضة المثيرة للقلق ، ولم يعد يردّ على اتصالاتها .. كما أنّ (ديمترى) أيضًا لم يردّ عليها مرة أخرى ، بعد مكالمتها له وإخبارها إياه بما قاله لها (سامر) ..

– أين أبي يا أمي ؟!

قالها (كريم) ، وقد اقترب منها ، ومدّ يدًا مرتجفة يمسح بها إحدى دمعاتها ..

رسمت بصعوبة ابتسامة على شفتيها ، ونهضت وضمته إليها .. قبلته على خديه ورأسه وقالت :

– لا تقلق ، سيعود بعد قليل ..

تساءل ببراءة :

– أين ذهب فجأة وتركنا هكذا في المطعم ؟!

قالت هامسة في أذنه :

– أتاه عمل مفاجئ ، سينتهي منه ويأتينا فورًا ..

يقول في تبرّم ، ملوحًا بيده اليمنى ، وقد ظهر الأسى والغضب واضحًا على ملامحه الطفلة :

ـ ألم يقل لنا إن هذه رحلة لنا كى نسعد بها بعيدًا عن عمله ؟! وأى عمل هذا يا أمى ؟! هل ذهب ليقود سيارة تاكسى فى أحد الشوارع هنا ؟!

تراجعت بظهرها إلى الخلف وهى تتأمله .. رباه كم تحبه ! لم تكن تتخيل أنها ستحب أبناءها حتى هذا الحد ..

ـ لا تشغل بالك بهذه الأمور الخاصة بالكبار .. والدك سيعود بعد قليل، لا تقلق ..

ضمته إليها من جديد بعد أن قالت هذه العبارة ، وأتاها خاطر مفزع ، بأن (سامر) فى خطر ..

جمدت هذه الفكرة الدم فى عروقها ، لكنها حركت رأسها فى قوة ، وأعماقها تهتف بسؤال واحد فقط :

.. أين أنت يا (سامر) ؟!

* * *

التزمتْ الصمتَ تمامًا ، وعقلى يحاول البحث عن أى مهرب ، أى فرصة للنجاة ، وأغلقت الخط مباشرة فى وجه (ديمترى) ، لئلا يهتف بكلمة أو شىء ما ، يجعل الرجال الذين دخلوا المكان ينتبهوا إلىّ ..

أعلمُ أننى أستطيعُ لاحقًا ـ فيما لو اعتقلونى ـ أن أخرج من السجن بسرعة ، فأنا من أهم عملاء المخابرات العلمية ، بل ومسئول القسم التقنى هناك ، ولا شكّ أن السيد (قاسم) والسيد (مراد) سيحلان الأمر دبلوماسيًا ، ويجدون لى حلًا من هذا المأزق ..

لكننى كنت أعرف أن هذا الأمر سيجعل المهمة التى وضعت نفسى فيها تطول ، وأن الوقت سيمرّ ، ولا أدرى حقًا ما الذى تحتويه الحقيبة ، ولا أدرى من هذا الشاب ، ولا أدرى أىّ شىء !

وصول الحقيبة للشرطة التركية كاف بأن يهدّد أمن هذه البلاد ، بعد أن أحسستُ أن فى الأمر شرًا أو خطرًا ، أو قنبلة بالأحرى ، عندما قلت هذه الكلمة ، ولمعت عينا الشاب !

أفكّر بكلّ هذا بسرعة البرق ، ووقع الأقدام يصبح قريبًا منى جدًا .. أغمضتُ عينىّ وكدت أن أنهض ، وخصوصًا أن أحد الرجال صار أمامى مباشرة ، ولا شكّ أنه يصوّب مسدسه إلىّ بهذه اللحظة ..

ولكن ما حدث كان مدهشًا للغاية !

فتحتُ عينى ونظرت للرجل ، كان أمامى ، ينظر للمنطقة التى أنا فيها ، وحولى ، دون أن يرانى !

حافظتُ على صمتى ، وبلعت ريقى بتوتر وقد اتسعت عيناى بذهول ، لكن الرجل اكتفى بأن هزّ كتفيه ، وقال شيئًا للرجال الذين معه بلغتهم ، ثم غادروا المكان !

ما الذى حدث ؟!

هل هو أحد رجالنا ؟!

هل هو متعاون معى لسبب ربما أعرفه لاحقًا ؟!

الصمت عمّ المكان ، وخيم على بالمعنى الحرفى للكلمة ، وأنا أحاول فهم ما يجرى ، ليأتينى اتصال جديد من (ديمترى) ، وأنا أحاول التقاط أنفاسى .

ـ (ديمترى) ، لن تصدق ما حدث !

أتتنى ضحكته القوية ، الواثقة ، الظافرة :

ـ بل أصدق ، فأنا من فعلتُ هذا ..

أكاد أن أهتف بأعلى صوتى ، لكننى أسيطر على مشاعرى ، وأنا أقول باتفعال :

ـ مانا ؟!

ـ أولًا ، استعنتُ بهاتفك لأحدد مكانك متعقبًا إشارتك ، ثم استعنت بالقمر الصناعى الخاص بالمخابرات العلمية ، بعد أن أخبرنى (فابيو) أن أرسل حاجزًا كهرومغناطيسيًا يحيط بك أنت فقط ، ويحيط بجسدك أنت وحدك ، كى تكون خفيًا فى المكان الذى أنت فيه !

قلت مبهورًا ، محاولًا التفكير سريعًا بالمنطق العلمى الذى يتحدث به (ديمترى) :

ـ هذا تطبيق عملى لطاقية الإخفاء يا (ديمترى) !

كدتُ أراه بعين الخيال يمط شفتيه فى امتعاض ، ويقول محاولًا التقليل من شأن ما قام به :

ـ كلا ، يصلح هذا الأمر فقط للأجسام الثابتة .. أعتقد أنّ على القوام

بالكثير من التجارب والأبحاث كى تصلح الفكرة للأجسام المتحركة .. تخيّل ! سيكون هذا مذهلًا ..

نصمتُ قليلًا ، ثم يسألنى :

ـ .. ماذا الآن ؟!

نهضتُ من مكانى ، وقلت له متجهًا نحو الباب :

ـ الآن ، لا بدّ لى أن أذهب إلى مكان آمن ..

ـ ولم ليس إلى الفندق مباشرة ؟!

ـ تصوّر أن تعرف (ديالا) بما حدث معى ! ستجنّ ! وستطلب منى أن نعود فورًا إلى بيتنا فى (عمّان) ! كلا .. سأطمئنها أولًا ، ثم علىّ أن أعرف المزيد عن هذه الحقيبة ، وعن الشّاب ..

ـ معك محفظته ، أليس كذلك ؟!

أتحسس جيوبى :

ـ نعم ..

ـ قم بتصويرها ، وأرسلها إلىّ حالًا ، سأبحث فى شبكة الإنترنت وفى قواعد البيانات المشتركة التى لدينا هنا ، عن كلّ ما يمكننى إيجاده عنه ..

ـ حسنًا ، مع السلامة ..

أنهيتُ المكالمة معه ، وأنا أبتسم لعبقريته الشديدة ، وسرعته العجيبة بالتصرف واتخاذ القرار ، التى أخرجتنى من الموقف السيئ الذى كنت فيه ، بطريقة لم أتخيلها البتة ..

أخرجت محفظة الشاب وتناولت منها بطاقته الشخصية .. كانت ملامحه في البطاقة هادئة ليس لها علاقة بذلك الذى قتلته ..

شىء مزعج أن تكون معى بطاقته الرسمية وأنا قتلته قبل قليل !

حاولت تجاهل هذا وأنا أقرأ اسمه ..

(سيلجوق توران) .. الاسم تركى جدًا رغم أنى شعرت أن الشاب ليس تركيًا ، لسبب ما ! صوّرت البطاقة بهاتفى وأرسلت الصورة فوزا إلى (ديمترى) لعله يقول لى شيئًا عن الشاب ..

شيئًا يفيدنى حتمًا !

حسنًا ، دعنى أرتّب الأوراق سريعًا فى ذهنى كى أعرف الخطوة القادمة التى يجب أن أقوم بها :

يجب أن أغتسل ، هذا أولًا ، وأن أغير ملابسى ، فما أرتديه الآن يضعنى فوزا ضمن نطاق الشبهات ، لأى شخص يرانى ..

ثانيًا : يجب أن أطمئن (ديالا) ، لا شكّ أنها غاضبة منى جدًا لأنى تركتها بهذه الطريقة ، كما أنها حتمًا فى غاية القلق علىّ ، وخصوصًا أننى لم أرد على أى اتصال من اتصالاتها ..

ثالثًا : يجب ألا تعرف (ديالا) بما حصل معى لئلا تجن كما أخبرنى (ديمترى) ، كما أن الرحلة يجب أن تتم باستمتاع كامل ، دون أن أنغص عليها أو على (كريم) هذه المتعة ..

رابعًا : وهو الأهمّ ، ما هذه الحقيبة ؟! من الرجل الذى كانت معه

الحقيبة ؟! ما الذى تحتويه بالضبط كى يموت اثنان من أجلها ، الرجل الذى كانت الحقيبة معه ، والثانى الذى قتلته أنا ؟!

خامسا : من هو الشاب الذى قتلته ؟! ومن هؤلاء الذين أرسلوه ليأخذ الحقيبة ؟!

أسئلة وأسئلة ..

وغموض ..

الكثير من الغموض !

رفعت هاتفى واتصلت على (ديالا) .. وكما توقعت ، كانت فى غاية الغضب والانفعال والعصبية والثورة ، لأننى لم أرد عليها ، ولم أطمئنها بعد أن غادرتها سريعا وأثرت بداخلها ألف عاصفة من الشك والقلق والتوتر والذعر !

طمأنتها قدر استطاعتى ، وأخبرتها أننى فى مهمة سرية ، أخبرنى عنها الرجل الذى لمحته من الخارج ، ونحن فى المطعم ..

– لهذا إذًا اندفعت خارج المطعم ؟!

اضطررت لاختلاق قصة جديدة :

– نعم ، شككت فيه ، وبأنه من رجالنا ، وحسم هو الشك بأن لوّح لى من الأسفل أن آتيه فورًا ..

قالت ونبرة الشك تطلّ بوضوح من صوتها :

www.riwaya.ga

ـ لكن لم يظهر لى الأمر هكذا ، لقد اندفعت وكأنّ كل شياطين الأرض تركض خلفك .. وأخبرتنى أن أخبر (ديمترى) أن يتعقب هاتفك فيما لو تأخرت !

أجبتها فى هدوء وبرود ، محاذرًا أن ينقل صوتى أىّ انفعال :

ـ كان هذا من باب الاحتياط .. على كلّ حال لقد تمّ الجزء الأول من الموضوع ، وعليك ألا تقلقى ، أنا بخير ، وليس هناك أى خطر يتهدّدنى ..

سألتنى بقلق :

ـ أين أنت الآن ؟! ومتى ستأتى ؟!

ـ لن آتى !

لا شكّ أن جوابى صدمها .. سكتت للحظات قبل أن تقول بعصبية شديدة :

ـ لكنك وعدتنا .. ماذا سأقول لابنك ؟! ماذا ستفعل غدًا ؟! أين ستنام أنت هذه الليلة ؟!

ـ (ديالا) .. أنت حبيبتى ، أليس كذلك ؟!

ـ نعم .. (سامر) ..

ـ هل تثقين بى ؟!

تنهدت وقالت :

ـ أكثر من نفسى .. بالتأكيد ..

أطمئنها قدر استطاعتى ، وأقول بحنان ، وصدق ، وبكلّ حب حقيقى من القلب :

ـ لا تقلقى .. سأحاول إنهاء المهمة الجديدة بأسرع وقت ممكن ، لا تخافى .. خوفك هذا سيزيدنى قلقًا وتوترًا ، وأنا أحتاج تركيزًا شديدًا الآن .. أريد أن أنتهى مما أنا فيه كى آتيك أنت و (كريم) ونقضى وقتًا ممتعًا مع بعضنا .. امنحينى ثقتك الكاملة ..

قالت بهدوء واستكانة :

ـ ما الذى تريدنى أن أفعله ؟!

ـ غدًا صباحًا اذهبوا مع الجولة السياحية .. أخبرى (كريم) أننى مشغول جدًا .. ستذهبون غدًا إلى (بورصة) بالسفينة ، وستقضون وقتًا ممتعًا بقمم الجبال الثلجية هناك ، مع الأحصنة الرمادية ، وسيفرح (كريم) وأنتم بالتلفريك ، وستسعدان جدًا أيضًا بجولة القارب السريع فى مضيق البوسفور .. ولا تنس التقاط الكثير من الصور .. وتذوق بعض البطاطا (الكومبير) أيضًا ..

بعد أن زفرت بضيق ، قالت :

ـ كل هذا بدونك ؟!

قلت :

ـ سأكون سعيدًا وبقمة تركيزى بعد أن أكون متأكدًا أنكم بخير وبأمان ، وبأنكم تقضون وقتًا جميلًا .. لا تقلقى .. سأحاول أن أنتهى من كلّ شىء

لنقضى بقية الوقت معًا ، وآخذكم إلى أماكن أخرى ، خارج الجدول المعد لنا من قبل المجموعة السياحية ..

ـ هل أنت فى خطر ؟!

ـ كلا ، لا شىء مقلق .. مهمة بسيطة لا بدّ من إنجازها ، فقط لا أكثر ..

أنهيت المكالمة بعدها ، وأطلقت زفرة ارتياح عميقة رغم أننى لم أكن صادقًا تمامًا ..

هكذا الوضع أفضل حتمًا .. أمامى بقية الليل ، وأمامى نهار الغد بأكمله لأكتشف كل ما أريد اكتشافه ، قبل أن أخبر (ديالا) بحجة أخرى جديدة ، طبعًا لو كان هناك ما يستدعى أن أظلّ بعيدًا عنها وعن (كريم) ..

الآن لا بدّ أن أغادر هذا المكان ، إلى نقطة أخرى آمنة ، أرتب فيها أفكارى بطريقة أوضح ، وبشكل عملى أكثر ..

فجأة خطر ببالى أن أرى هاتف (سيلجوق) ، قبل أن أذهب من هنا ، لعلى أجد فيه شيئًا مهمًا ، أو معلومة ما ، تفيدنى فى أن أتوجه إلى المكان الصحيح الذى يجب أن أكون فيه ..

غريب !

الهاتف جديد ، من طراز (سونى) .. لا يوجد فيه أى اسم فى قائمة الأسماء ، ولا يوجد فيه أى صورة بالاستوديو ..

لا يوجد فيه إلا رسالة واحدة فى صندوق الوارد ، لا شكّ أنه نسى أن يحذفها ، بسبب السرعة أو الارتباك !

ابتلعت ريقى وأنا أفتح الرسالة ، وقرأت عيونى برعب ، كلماتها القليلة المكتوبة بالإنجليزية ، وخفق قلبى بشدّة ، كما لم يخفق منذ زمن طويل ..

كانت الرسالة تقول باختصار :

« تغيرت الخطة .. اقتله وتعال بالحقيبة إلى فندق (سنان) .. ننتظرك هناك تمام الساعة الحادية عشرة ليلًا .. السيد (توران) يريد تفجير كلّ من بالمؤتمر الذى سيقام خلال يومين » !!

* * *

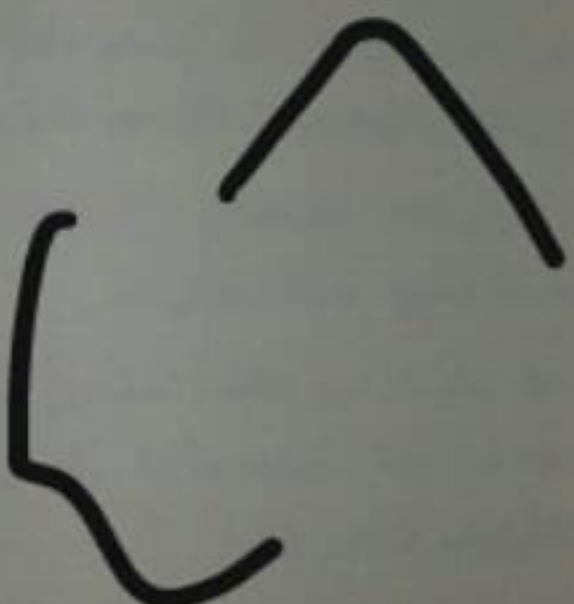

٤

(سيلجوق توران) ..

انهمك (ديمترى) بالبحث عن أى معلومات متعلقة بصاحب الصورة التى أرسلها (سامر) له منذ دقائق ، وقلبه ينبض بقوة ، وعيناه تجريان على كلّ ما يظهر أمامه على الشاشة ..

كأن هذا وقتك يا (سامر) !

تذهب لتقضى بعض الوقت فى (تركيا) مع أسرتك ، لكنك بدل من هذا ، تطارد شخصًا شككت بتصرفاته ، لتقتله ، بعد أن رأيته يقتل رجلًا آخر ، يملك حقيبة بنية اللون ، لا تدرى أصلًا ما الذى فيها !

ما الذى قد يحصل الآن ؟!

ما الذى تحويه هذه الحقيبة اللعينة ؟!

هل مات صاحبها بعد الطعنة ؟!

هل يعى (سامر) ما الذى يفعله بالضبط ؟!

هل من الضرورى أن يعرف (منذر) ؟!

عند هذه النقطة من التفكير أحس (ديمترى) أن (منذر) يجب أن يعرف بما حدث .. لا أحد يعرف حتى الآن ما الذى حدث لأنّ الأحداث صارت خلال الساعة الماضية ! الأحداث طازجة جدًا ، وهو مع (سامر) و (ديالا) فقط ، الذى يعرفون ما حصل بشكل عام ..

رفع (ديمترى) هاتفه واتصل على (منذر) ، مغمغمًا بقلق :

ـ (منذر) ، أين أنت ؟!

أتاه صوت (منذر) :

ـ عدت إلى المنزل ، ثمة مناسبة عائلية يجب أن أكون فيها مع والدتى ، و ..

قاطعه بحزم ، مواصلًا العمل على حاسوبه ، بسرعة وإصرار :

ـ تعال فورًا إلى شقتى يا (منذر) ، إن (سامر) بخطر شديد ، ويجب أن تكون معه بهذه اللحظة .. لا تضيع المزيد من الوقت ..

بدهشة شديدة :

ـ ماذا ؟!

ـ إنه فى خطر شديد يا (منذر) .. زوجته وابنه لا يعرفون أى شىء عنه ، وحتى أنا لا أعرف الكثير سوى ما قاله لى .. لقد حدث معه شىء ما هناك ، واضطر أن يقتل رجلًا ، و ..

قاطعه صوت (منذر) حاملًا دهشة الدنيا كلها :

ـ يقتل رجلًا ، وهو فى رحلة عائلية مع أسرته ؟! هل هذا حقيقى يا (ديمترى) ؟!

ـ تعال فورًا ، ثمة ما يجب أن ...

قالها (ديمترى) ثم صمت على الفور ، بعد أن أطلق شهقة عنيفة ، وهو يحدق فى شاشة جهاز الحاسوب ، قافزًا من مقعده بحركة عصبية ، تحمل كل التوتر الذى فى العالم ..

ـ ماذا هناك يا (ديمترى) ؟! ماذا هناك ؟!

صرخ بها (منذر) بذعر هائل لا يتناسب مع شخصيته ، وهو يتجه نحو سيارته بأقصى سرعة ، بينما أجابه (ديمترى) بصوتٍ مرتجف :

ـ الشاب .. ذلك الشاب .. الذى قتله (سامر) ..

ـ ما به ؟!

تمتم (ديمترى) :

ـ لن تصدق ! لا بدّ أن تأتى لأخبرك ! لا بدّ !

* * *

بهدوء ، خرجتَ من المخزن المهجور بعد أن أرهفت السمع وتأكدت أنه ليس من أحد فى الخارج .. جيد جدًا ..

أدرتَ عينيْ يمينًا ويسارًا ، ولفت نظرى أجمل شىء .. فعلى البعد منّى كان هناك شىء أشبه ببطانية ، ينام تحتها رجل .. متشرد هو .. ولا شكّ أنه من أولئك الأتراك المظلومين جدًا ، والذى لم ينالوا حقهم ، ودهستهم الحياة ..

أعتقد أنه استيقظ بعد كل تلك الفوضى ، وصوت الرصاص ، ورجال الشرطة ، ولكنّه بعد ذلك عاد إلى نومه وقوقعته .. لا شكّ فى هذا .. خصوصًا وقد ظننت لوهلة أنه ثمل .. الآن لا أشك بهذا الأمر ، الرائحة تؤكد أننى كنت على حق !

اتجهت إليه بثقة ، أيقظته من نومه بعد أن حرّكته بيدى أكثر من مرة ، أجفل واستيقظ واتسعت عيناه حتى آخرهما وهو ينظر إلىّ .. كنتُ طبعًا قد مسحت كل الدماء التى على وجهى ، وكنت خلعتُ ملابسى التى عليها الدماء .. استعملتُ أحد الملابس الداخلية التى أرتديها بعد أن قمت بتمزيقها مع بعض الماء الذى وجدته فى زجاجة بالمخزن المهجور ..

باختصار ، كان شكلى مقبولاً ولا بأس به ، بالنسبة لمتشرد مثله ، لا يعير الذوق والألوان أدنى اهتمام ..

نهض مرة واحدة وتراجع بجسده إلى الخلف ، وقال بعض الكلام بالتركية التى لا أفهمها طبعًا .. لم أقل شيئًا .. ابتسمت بوجهه وأخرجت بعض الأوراق المالية ، وأشرتُ إلى ملابسه ، وأشرتُ إلى المال !

فهمنى وابتسم ، ولم تمض دقائق حتى كنت أبتعد عن المكان ، معى الحقيبة ، مرتديًا ملابسه ، التى وبحمد الله لم تكن قذرة ، ولم تكن مثيرة للشك ، بأى حال من الأحوال ..

خرجتُ إلى الشارع الرئيسى ، معى الحقيبة ، أشرت لسيارة تاكسى وركبتُ بها ، ولم أقل سوى كلمة واحدة بالإنجليزية :

– فندق .. (تقسيم) !

أتتنى نظرته المتسائلة عبر المرآة الداخلية .. حتمًا هناك عشرات الفنادق فى تلك المنطقة .. لوّحت بيدى مكرّرًا :

– فندق .. (تقسيم) !

ابتسم وتحرّكت السيارة بى نحو (تقسيم) ، وفى عقلى تموج عشرات الأسئلة .. مئات الأسئلة .. آلاف الأسئلة .. فليأخذنى إلى أى فندق شاء .. لا يهمّ ..

ما يهمّنى ؛ ماذا بعد أن عرفت بشأن القنبلة ؟!

أى قنبلة هذه ؟!

لماذا لم أجرؤ على فتح الحقيبة حتى الآن ؟!

أى مؤتمر هذا ؟!

أى تفجير الذى سيطيح بمؤتمر ، وبكلّ من فيه ؟!

هل أداة تفجير المؤتمر ، معى الآن ، فى هذا التاكسى ؟!

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

ما الذى ورطت نفسى فيه ، كما قال لى (سيلجوق) ، وكما نصحنى أن أبتعد ، قبل أن أقتله ؟!

.. ماذا ؟!

* * *

أنهت (ديالا) الاتصال مع (ديمترى) ، ودسّت نفسها فى الفراش مجدداً ، بعد أن أمسكت جوانب رأسها بيديها ، وأطلقت زفرة حارة ، من أعمق أعماقها ..

هى ليست بحاجة إلى كل ذلك الضغط النفسى ..

هى ليست بحاجة إلى كل ذلك التعب والإرهاق ..

لقد طمأنها (سامر) عبر الهاتف قبل قليل ، وأخبرها أن الأمر مهمة أخرى له ، وأن عليها ألا تقلق .. لماذا إذًا كلّمها (ديمترى) وأخبرها أن عليها ألا تقلق أيضًا ؟!

عندما يخبرك أحدهم ألا تقلق ، فهذا طبيعى .. أما أن يخبرك الاثنان ، وأن يكون صوت الثانى باردًا ويحمل رائحة غير مريحة ، فهذا بحدّ ذاته أمر بارد وغير مريح ..

أبدًا !

نظرت إلى (كريم) النائم .. ماذا سيحدث لك يا بنىّ ، عندما تكبر ، وتعرف أن والدك ليس سائق تاكسى ، بل رجل مخابرات من الطراز الأول ، بل ومرتبط بماضٍ غامض ، غير معروف ، أركانه كلها مجهولة ، مثيرة للخوف والفزع ؟!

تنهدت ، وزفرت بقوّة ، أغمضت عينيها وهى تدعو الله بسرّها أن يوفّق زوجها ، وأن يحميه ، وأن يبعد عنه الأخطار ، والسوء ، وكلّ من يحاول أن يضرّه ..

قبل كلّ شىء ، وبعد كلّ شىء ، لن تفعل سوى ما قاله لها زوجها : ستذهب مع الجولة السياحية ، وستحاول أن تقضى وقتًا ممتعًا مع (كريم) ، دون أن تفكر بأى شىء آخر !

لكنها ، هناك ، فى داخلها ، كانت شبه متيقّنة أنّ ما قيل لها شىء ، يختلف عما يحدث بالفعل مع (سامر) ..

.. يختلف تمامًا !

* * *

كان باب شقة (ديمترى) مفتوحًا عند وصول (منذر) إليه ، الذى اقتحم الباب ، ودخل هو يلهث ، محدقًا بوجه (ديمترى) ، الجالس على المقعد الطويل ، فى الصالة ..

– ماذا هناك ؟!

رفع له (ديمترى) الهاتف المحمول ، والتى تحمل صورة البطاقة الشخصية ، التى أرسلها (سامر) إليه :

– هذا ..

– من هذا ؟!

ناوله الهاتف :

– هذا (سيلجوق توران) ..

أخذ (منذر) الهاتف منه ، وتأمل الصورة قليلًا ، قبل أن يقول بلهجة حذرة :

– الشاب الذى قتله (سامر) ؟!

– نعم ..

يهتف (منذر) :

ـ ما به ؟! أخبرنى يا (ديمترى) .. ما به ؟!

ـ إنه ابن (توران باموق) !

أطلّ التساؤل من عيون (منذر) ، الذى لم يعرف صاحب هذا الاسم ، ولم يسمع به فى حياته مطلقًا ..

ـ حمدًا ؟! ومن هذا أيضًا ؟!

صمت (ديمترى) قليلًا ، ازدرد لعابه بصوت مسموع ، قبل أن يقول ببطء ، ناظرًا إلى (منذر) مباشرة :

ـ زعيم المافيا المنظمة ، فى (تركيا) كلها !

* * *

ارتفع صوت أقدام تجرى فى ممر طويل ، مزدان بالتحف العتيقة واللوحات الملونة الفاخرة ، والسجاجيد الإيرانية الفخمة ، قبل أن يظهر صاحب الأقدام ، الرجل قصير القامة ، عريض المنكبين كالملاكمين ، ذو الشعر القصير واللحية القصيرة ، والعوينات الطبية بدون إطار ، والذى وصل إلى آخر الممر ، حيث يقبع باب خشبى ضخم بانتظار أن يطرق عليه ..

طرق الباب بهدوء ، قبل أن يأتيه صوت غليظ من الداخل :

ـ ادخل يا (شاهين) ..

دخل (شاهين) إلى الغرفة سريعًا ، وأغلق الباب خلفه .. الغرفة واسعة ،

أقرب إلى مكتبة عملاقة فيها آلاف الكتب ، وفى الوسط تمامًا مكتب كبير ، بنى اللون ، يجلس خلفه رجل ضخم الجثة ، أصلع الرأس ، حليق الوجه ، ملامحه وسيمة وإن بدا عليه أنه تجاوز الستين من عمره ، وقد عقد حاجبين كثين ، وشبك يديه تحت ذقنه ، مائلًا بجسده إلى الأمام قليلًا ..

ـ هل من جديد يا (شاهين) ؟!

أطرق (شاهين) برأسه ، ونظر إلى الأرض ، قبل أن يقول بصوت خافت :

ـ لقد فشلت المهمة سيد (توران) .. لم يستطع (سيلجوق) أن يحضر الحقيبة لنا بالوقت المناسب ..

نهض (توران) من مكانه ، ودار بجسده حول المكتب قائلًا :

ـ لماذا ؟! هل هرب (أورهان) ؟!

ـ كلا ، سيدى ..

أكمل (توران) وكأن (شاهين) لم يقل شيئًا :

ـ إنه رجل كبير فى السن ، و (سيلجوق) شاب ، والمهمة أسخف من السخافة ذاتها .. عليه أن يقتله وأن يأخذ الحقيبة منه ، ما الذى حدث ؟!

ابتلع ريقه دون أن يرفع رأسه عن الأرض :

ـ سيدى ..

عقد (توران) حاجبيه أكثر ، واقترب من (شاهين) حتى صار أمامه تمامًا ، وقال :

ـ نعم ..

ـ لقد تدخل رجل ما ، لا تعرف من هو ، ودار بينه وبين ابنك (سيلجوق) مشاجرة عنيفة ، انتهت بمقتله ..

ابتسم (توران) :

ـ مقتل الرجل ؟!

تراجع (شاهين) إلى الخلف بضعة سنتميترات ، قبل أن يهزّ رأسه نافيًا :

ـ مقتل (سيلجوق) ، يا سيدى !

اتسعت عينا (توران) بضع لحظات ، قبل أن يصرخ بصوت مرتفع جند الدماء بعروق (شاهين) ، ويقفز نحو هذا الأخير ، ليلكمه على فمه فى عنف ، مفجرًا الدماء من أسنانه ، ملقيًا به نحو الأرض بكلّ قوة .. وقع (شاهين) أرضًا وهو يصرخ من الألم ، قبل أن ينقض عليه (توران) ، ويرفعه بذراع قوية واحدة ، وهو يقول :

ـ ما الذى تقوله أيها اللعين ؟! مات (سيلجوق) ؟!

قال (شاهين) محاولًا السيطرة بذراعه اليسرى على نزيف أسنانه :

ـ الرجل .. قتل (سيلجوق) .. وهرب بالحقيبة ! هرب بالحقيبة يا سيدى !

تركه (توران) فجأة ، فهوى وسقط على الأرض مجددًا ، وهو يحدق فيه بعينين متألمتين ، خائفتين ..

(توران باموق) .. زعيم المافيا التركية ، التى يخشاها الجميع ، والتى تتعاون بشكل مفضوح علنًا مع المافيا الإيطالية ، دون أن يجرؤ أحد على إيقاف نشاطاتها التى تبدأ بالخمر والقمار ولا تنتهى عند الاتجار بالبشر وصناعة الأسلحة ..

(توران باموق) .. والذى تهابه الشرطة بشكل مذهل ، أكثر من رئيس الوزراء نفسه !

. اقترب منه (باموق) ورمقه بنظرة حادة ، مما جعله يقف سريعًا ويطرق بالأرض مجددًا ، وقال له بكل صرامة وشراسة :

– (شاهين) .. أريد أن تجدوا لى هذا الرجل ..

– حسنًا يا سيدى ، بالتأكيد ..

بنفس الصرامة والشراسة :

– وأريد أن تجدوا لى الحقيبة أيضًا .. هذا ما يهمنى الآن .. هل تفهمنى يا (شاهين) ؟!

أومأ (شاهين) برأسه ، بينما نظر هو إلى ساعته ، وأردف :

– .. يبدأ المؤتمر ظهر بعد الغد ، أمامنا أقل من يومين .. يجب أن نجد الحقيبة ، وأن نجد الرجل الذى قتل (سيلجوق) ..

أومأ برأسه مرة أخرى قبل أن يسأل بحذر :

– واجتماعنا بعد ساعتين فى فندق (ستان) يا سيدى ؟!

ـ قم بإنهائه بالطبع .. أريد ما أخبرتك إياه ..

ـ ثمة أمر آخر يا سيدى ..

صرخ به :

ـ ماذا هناك أيضًا ؟!

ـ هناك كاميرا فى الشارع حيث قتله الرجل ، يا سيدى ..

التفت إليه (توران) بجسده كله ، هاتفًا بلهفة :

ـ كاميرا ؟!

ابتسم (شاهين) رغم الدم ، والألم ، وقال بنبرةٍ أعلى :

ـ نعم .. كاميرا .. وسنرسل أحد رجالنا ليأخذ لنا نسخة من الشريط المصور ، وسنحضره إليك يا سيدى .. لا تقلق ..

قالها ، وانحنى ، وتراجع قليلًا ، ثمّ اندفع خارج المكتب بأقصى سرعة ، وعينا سيده تتابعانه حتى أغلق الباب خلفه ..

ورغم موت (سيلجوق) ، ورغم اختفاء الحقيبة التى تحوى شيئًا مهمًا للغاية ؛ ابتسم (توران) ..

سيجدون من قتل ابنه ، وسيجدون الحقيبة ..

.. وسينتقم بشدّة !

* * *

٥

المزيد من الغموض ..

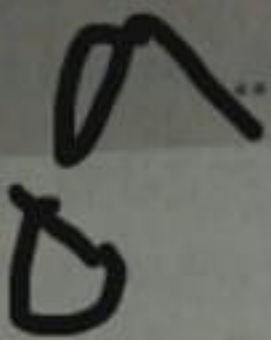

الثامنة صباحًا ..

نهضتُ من السرير فجأة وكأن أحدهم على وشك أن يخنقنى .. نظرتُ حولى وأنا آخذ عدة أنفاس متتابعة ، ما زلت فى غرفة الفندق فى (تقسيم) ، بعد أن اختاره لى سائق التاكسى الذى ركبت معه أمس ، على مزاجه ..

الغرفة مريحة ، والسرير لطيف نوعًا ما .. نمتُ بملابسى نفسها التى اشتريتها من المتشرد ..

أول ما أردت فعله فور خروجى من الحمام ، كان اتصالى مع زوجتى ، واطمئنانى عليها ، بعدما فتحتُ هاتفى الذى كان مغلقًا طوال الليل ، بسبب انتهاء بطاريته ، والذى أيضًا كان يشحنُ بهذه الفترة كلها ..

جيد جدًا ، ها هى الآن فى مطعم الفندق ، تفطرُ مع (كريم) ، الذى عاتبتى قليلًا عبر الهاتف ، وحاولت قدر الاستطاعة أن أطمئنه وأهدئه ، وأعده بيوم جميل ممتع مع والدته فى منطقة (بورصة) الجميلة جدًا ، كما سبق وأن رأيتها فى صور وفيديوهات ..

أنهيتُ الاتصال معهما ونظرتُ إلى الحقيبة المستفزة ، التى أمامى على الطاولة ، بجانب السرير ..

أخذت نفسًا عميقًا ، وتناولتُها ، وجلستُ على السرير ، وبكلّ هدوء ، فتحتها ، وأخذتُ أخرجُ ما بها ..

كان هناك بعض الأوراق ، فيها كلام مكتوب باللغة التركية كما هو واضح ، وصورة ملونة للرجل المطعون ، قلبتها فإذا بالخلف مكتوب بالإنجليزية (أورهان أوزرلى) .. هذا اسمه إذًا ، هذا الذى لا أعرف عن أى شىء ، إلا أنه بالمستشفى منذ طعنه الوغد (سيلجوق) ، والذى كانت معه الحقيبة ..

وبالإضافة للأوراق ، والصورة الملونة ، كانت هناك علبة متوسطة الحجم ، سوداء اللون ، وكان فيها ثقب لمفتاح .. لم أهتم بل على الفور أدخلت مفاتيحى فى الثقب ، وأخذت أدور المفاتيح واحدًا تلو الآخر ، يمينًا ويسارًا ، دون جدوى ..

نهضتُ إلى المطبخ ، تناولت سكينًا ، ومع بعض الجهد ، انفتحت أمامى العلبة ..

حدقتْ بعينىّ فى هذا الذى أراه أمامى ، داخلها ..

ما هذا ؟!

.. مات الثنان ، لأجل هذا الشىء ؟!

* * *

أغلق (منذر) باب شقة (ديمترى) وراءه ، ودلف إلى الداخل سريعًا ، ليستقبله هذا الأخير ، وهو أمام حاسوبه ..

بادره فورًا :

– هل كلّمت (سامر) ؟! هل أخبرته عن (توران باموق) والد (سيلجوق) ؟!

أمسك (ديمترى) هاتفه المحمول ، وقال مشيرًا إلى شاشته :

ـ كلا ، هاتفه بقى مغلقًا طوال الوقت ، ووصلتنى رسالة آلية قبل قليل تفيد بأنه فتح هاتفه .. لكننى لم أتصل به قبل مجيئك ، أردت أن تكلمه معًا ..

جلس (منذر) على أول مقعد قريب منه ، وقال مشيرًا له بيده :

ـ حسنًا ، اتصل به إذًا ..

نهض (ديمترى) وأجرى اتصاله سريعًا ليأتيه صوت (سامر) بلهفة :

ـ كنت على وشك أن أتصل بك يا (ديمترى) ..

ـ لماذا كان هاتفك مغلقًا ؟!

قال (سامر) ببساطة :

ـ فرغ شحن البطارية ، لكننى شحنت الهاتف طوال الليل .. أعرف أننى أثرت قلقكما ..

تمتم (ديمترى) :

ـ جيد .. جيد ..

تساءل (سامر) بفضول :

ـ هل (منذر) عندك ؟!

قال :

ـ نعم عندى ..

تساءل (سامر) بفضول أكبر ، وقد عقد حاجبيه :

ـ ماذا هناك يا (ديمترى) ؟!

صمت (ديمترى) قليلًا ، قبل أن ينتهد بعمق ، ويقول :

ـ (سيلجوق) ..

سأله بسرعة :

ـ ما به ؟!

ـ والده هو (توران باموق) ..

صمت (سامر) قليلًا ، أدار الاسم عدة مرات فى رأسه ، قبل أن يقول :

ـ حسنًا ، من هذا بالضبط ؟!

أجاب (ديمترى) :

ـ إنه زعيم المافيا المنظمة فى (تركيا) كلها يا (سامر) !

صمت (سامر) بعد هذه العبارة ، ومنحه (ديمترى) الفرصة لبعض التفكير ، فلم يقاطعه ، و (منذر) نهض من مكانه يستفسر بالإشارات من (ديمترى) عن جواب (سامر) ، دون أن يظفر بأى جواب إلا الصمت ..

قال (سامر) بحزم :

ـ ما حصل قد حصل ، والأمر أخطر من مجرد أن يكون والده هو زعيم المافيا المنظمة فى (تركيا) .. هناك ما هو أخطر ..

فتح (ديمترى) مكبر الصوت وقال :

ـ أخبرنا بهذا الأمر الأخطر ، لقد فتحت مكبر الصوت كى نسمعك أنا و(منذر) ..

قال (سامر) فى سرعة ، محاولًا الحفاظ على هدوئه :

ـ وجدت بصندوق الرسائل فى هاتف (سيلجوق) رسالة نصية واحدة، ربما نسى أن يمسحها بسبب السرعة أو غير ذلك .. المهم أنها تقول : « تغيرت الخطة .. اقتله وتعال بالحقيبة إلى فندق (ستان).. ننتظرك هناك تمام الساعة الحادية عشرة ليلًا .. السيد (توران) يريد تفجير كلّ من بالمؤتمر الذى سيقام خلال يومين » !!

شهق (منذر) بقوّة :

ـ تفجير كل من بالمؤتمر ؟!

بينما قال (ديمترى) :

ـ رباه !

غمغم (منذر) :

ـ السيد (توران) الذى هو والد (سيلجوق) طبعًا ..

قال (ديمترى) وهو يهزّ رأسه :

ـ نعم ، طبعًا ..

أكمل (سامر) وكأنه لم يسمعهما :

ـ لكن هناك ما هو أغرب ، وربما أشد خطورة من الرسالة ليها يا (ديمترى) و (منذر) ..

انتبهت كل حواسهما إليه ، وهتف (منذر) وهو يكاد يخطف الهاتف من بين أصابع (ديمترى) :

ـ ما هو ؟!

ـ لقد فتحت الحقيبة !

قال (ديمترى) :

ـ ووجدت فيها القنبلة ؟!

أجاب (سامر) ، بكل حيرة :

ـ وجدت فيها علبة زجاجية صغيرة مغلقة بإحكام ، بها سائل غريب لم أعرفه ، أزرق اللون !

* * *

انطلق اليخت الكبير الذى يحمل مئات المسافرين ، وبعض السيارات ، يشق البحر بين (إسطنبول) و (بورصة) ، وعلى متنه (ديالا) و (كريم) ، الذى نسى كل شىء ، وانشغل باللعب مع بعض الأطفال ، محاذرين أن تسقط فى الماء ..

وبينما هم يضحكون ويستمتعون بوقتهم ، جلست (ديالا) على مقربة ، بيدها كوب من عصير البرتقال الطازج ، تحتسى منه رشفة كل حين ، وهى

www.riwaya.ga

تتحدث مع تلك السيدة المصرية ، من (القاهرة) ، والتى جاءت هنا مع زوجها وأطفالها ، أيضًا لتغيير الجو، والحالة المزاجية بشكل عام ..

تتحدث المرأة ، وترجع رأسها إلى الخلف وتضحك ، وتضحك معها (ديالا) ، وتحدثها المرأة عن زوجها الصيدلانى ، وكيف عانى كثيرًا كى يشق طريقهما .. وتحدثها (ديالا) أيضًا عن (سامر) سائق التاكسى ، وكيف أنها مهنة ممتازة فى (الأردن) ، أفضل بكثير مما يتخيل أى أحد !

تبتسم المرأة ، وتبتسم (ديالا) ..

تتكلم المرأة فى كل شىء ، وتتكلم (ديالا) معها ، وعقلها هناك ، مع (سامر) ..

عقلها هناك ، وتفكيرها ، وكيانها كله ..

.. ما الذى يفعله الآن ؟!

* * *

اندفع (شاهين) عبر الممر إلى أن وصل إلى باب غرفة المكتب التى يجلس فيها (توران) ، دق الباب مرتين بعد أن تجاوز الحارسين الضخمين اللذين لم يلتفتا إليه ، ولم يعرهما هو أى اهتمام ..

- سيدى ..

قالها بخفوت ، وهو يدلف إلى المكتب ، لينهض (توران) بجسده الضخم من وراء الطاولة ، ويقول :

ـ هل من جديد عندك يا (شاهين) ؟!

اقترب (شاهين) منه وعلى وجهه ابتسامة ظافرة ، مع التماعة تشى بالفرح فى عينيه ، وقال :

ـ نعم يا سيدى ، بالتأكيد ..

وجلس على الكرسى المقابل له ، ومدّ له عدة أوراق ملونة ، دون أن يتكلم ..

أوراق فيها عدة صور ، يظهر فيها (سامر رمضان) ، وهناك صورة مقربة جدًا لوجهه !

تناول منه (توران) الصور ، وأخذ يتأمل وجهه وهو يمشى ببطء ، بينما قال (شاهين) :

ـ لم نواجه أى صعوبات يا سيدى بأخذ الصور وطباعتها ، اقتحمنا المكان منذ ساعة وأخذنا كل شىء ، ولم يعد ..

قاطعه (توران) فجأة بصرامة :

ـ هذا لا يهمّنى ..

انكمش (شاهين) فى مقعده كالفأر ، بينما ألقى (توران) الأوراق فى الهواء ، مستطردًا بصوت هادر وهى تتساقط من حوله على الطاولة وعلى الأرض :

ـ .. لا يهمّنى سوى أن تجدوه وأن تجدوا الحقيبة يا (شاهين) ، الله

قتل (سيلجوق) وسيعيش عذابًا هائلًا بسبب هذا ، كما أن المؤتمر غدًا يا (شاهين) ..

وضرب بقبضته على الطاولة ، صارخًا ومكررًا بغضب هائل :

ـ .. المؤتمر غدًا يا (شاهين) !

انكمش (شاهين) فى مقعده أكثر دون أن يتفوه بكلمة ، ليقترب منه (توران) ، ويقول بصرامة ، ناظرًا إليه مباشرة ، بعد أن أخذ شهيقًا عميقًا :

ـ .. صوره لديكم ، تستطيعون أن تعرفوا اسمه ، وأن تعرفوا كلّ شىء عنه .. أريده يا (شاهين) اليوم .. وأريده حيًا بالطبع ، هل تفهمنى ؟! أريده حيًا !

نهض (شاهين) ، وقال ناظرًا للأرض بخضوع :

ـ حيًا .. بالتأكيد يا سيدى .. رجالنا الآن يتحرّون عنه ، وسيصلنا كل ما نحتاج إليه من معلومات خلال عدة ساعات .. لا تقلق ، سنحضره إليك ، وسيكون حيًا ..

ـ والحقية يا (شاهين) ..

ـ نعم ، والحقية يا سيدى .. والحقية ..

قالها واندفع خارج الغرفة كالسهم ، بينما جلس (توران) على مكتبه والغضب الشديد يغلى فى صدره ..

أى أغبياء هؤلاء ؟!

من أى منظمة هذا الوغد الذى قتل ابنه (سيلجوق) ؟!

من أرسله كى يراقبه ويقتله ؟!

كيف عرفوا بشأن الحقيبة ؟!

مات (سيلجوق) يا (توران) !

مات (سيلجوق) يا (توران) !

دوّت العبارة فى رأسه عدة مرات كالصدى ، لينتبه أول مرة لهذا الأمر بهذا الوضوح .. وغاب بعيدًا فى الذكريات ، وانسابت دمعة ساخنة على خده ، دون أن ينتبه ، وبدا وكأنما انفصل وأصبح فى عالم آخر ..

.. عالم بعيد !

* * *

عمّ الصمتُ قليلًا بعد أن أخبرت (ديمترى) و (منذر) بما وجدت فى الحقيبة ..

– سائل غريب ، أزرق اللون ؟!

هذه كانت من (منذر) ، ولم يقل (ديمترى) شيئًا ، فخمّنت أنه يفكر ، ويدير عشرات الاحتمالات فى رأسه ..

سألنى فجأة باهتمام :

– ما هذا برأيك يا (سامر) ؟!

– لا أعلم ، ربما جزء من قنبلة كيميائية ، إن تمّ مزجها مع جزء آخر أو

مواد أخرى ستصنع انفجارًا هائلًا .. وربما هى القنبلة ، هكذا كما هى ، يكفى هزها لأن يحصل انفجار كبير ، وهذا ما أستبعده لأنها عاشت معى الكثير من الاهتزازات منذ الأمس ، لذا يتبقى أمامى الاحتمال الأخير ..

ـ وهو ؟!

أجبت ، وبين يدىّ الزجاجة :

ـ أن يحدث انفجار فى المؤتمر المذكور فى الرسالة ، والانفجار هذا سيكون هو المحفز الذى سيفعّل هذه القنبلة ، ويجعلها تنفجر ، لتصنع كارثة جديدة ، أكبر من الانفجار نفسه ..

هتف (منذر) بكل قلق وتوتر :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله سائل أزرق اللون وسط انفجار كبير ، كفيل بالإطاحة بمؤتمر كامل ؟!

تمتم (ديمترى) بجانبه :

ـ هذا هو السؤال ..

ثم أردف وقد بدا من صوته التذكر :

ـ هل زوجتك وابنك بخير ؟!

ـ نعم ، بأحسن حال ..

ـ أين هما الآن ؟!

أجبت مبتسمًا :

ـ هل أنت قلق عليهما أكثر منّى ؟! لا تقلق .. هما فى الجولة السياحية ..

ثم أخذت نفسًا عميقًا ، وقلت :

ـ .. هناك أمران يا (منذر) و (ديمترى) ، ولا بدّ من معرفتهما قبل أن نفكّر بطريقة لمعرفة جواب السؤال المتعلق بهذا السائل أزرق اللون ..

سألنى (ديمترى) :

ـ وما هما يا (سامر) ؟!

ـ اسم الرجل الذى كانت معه الحقيبة هو (أورهان أوزرلى) ، أريد أن أعرف كل المعلومات عنه ، وسأرسل لك صورته فورًا يا (ديمترى) وأريد أن أطمئنّ على حالته بعد الطعنة ، أرجو أن يكون حيًا ، لا شكّ أن ما لديه من معلومات سيفيدنا جدًا ..

قلت هذا وأتبعت كلامى بأنى أمسكت الصورة الملونة التى فى الحقيبة ، وصوّرتها بهاتفى ، وأرسلتها إليه ، فورًا :

ـ .. هل وصلتك ؟!

ـ نعم .. سأرى ما يمكننى معرفته بشأنه سريعًا ..

قال (منذر) ، بعد أن نهض (ديمترى) وجلس أمام حاسوبه :

ـ وما الأمر الثانى يا (سامر) ؟!

ـ المؤتمر ..

سأل بحذر :

ـ هل أتحرّى عنه ؟!

أجبت بنفاد صبر :

ـ نحن لا نعرف إن كان هناك مؤتمر أم أكثر ، وأرجو ألا يكون هناك سوى مؤتمر واحد كى نعرف بسهولة أن هذا المؤتمر بالذات هو المستهدف ..

سألنى فجأة :

ـ وماذا سنفعل لو عرفناه ؟!

ـ لكلّ حادث حديث ، فلنعرف أولا ما سيعرفه (ديمترى) عن (أورهان) ، وما ستعرفه أنت عن المؤتمر ..

ـ ماذا ستفعل الآن ؟!

ابتسمت رغم كلّ شىء ، وقلت :

ـ سأمارس ما أجيده .. سأحاول أن أكتشف ماهية هذا السائل أزرق اللون دون أن أفتح الزجاجة !

ـ خذ حذرك يا (سامر) .. إياك أن تنفجر ..

ـ سأحاول !

* * *

٧٨

٦

بلا أثر ..

تدفقت أصابع (ديمترى) تجرى فوق لوحة مفاتيح حاسوبه المحمول، وسط حضنه ، بينما انشغل عنه (منذر) قليلًا بإجراء بعض المكالمات ، تحرى أمر المؤتمر ..

أغلق (منذر) الخط ساخطًا ، وقال كلامًا غير مفهوم لم يسمعه منه (ديمترى) ، لكن قال له وقد رفع إليه عينيه :

- ما بك يا (منذر) ؟!

أشار إلى الهاتف :

- هذا الذى كان يكلمنى ..

- من ؟!

أجاب ببطء :

- (قاسم داود) ، مدير المخابرات العلمية !

- ما الذى كان يريده ؟!

لوح (منذر) بيده مجيبًا ، وهو يتجه إلى البطريق :

- لا شىء محدد ، سألنى عن (سامر) ، هم بحاجته هناك فى القسم الثانى .. يريدون استشارته هاتفيًا بشأن أمر ما ..

- هل أخبرته بأى شىء ؟!

التفت إليه وهو يهز رأسه نفيًا :

ـ كلا طبعًا ، أخبرته أن الخطوط هناك ربما لا تكون جيدة ، أو ربما أن (سامر) نائم ولم ينتبه ..

ـ هذا جيد ..

قالها (ديمترى) وقد أومأ برأسه .. اقترب (منذر) من البطريق وأخذ يلاعبه .. كعادته يحب ملاعبة هذا البطريق ، والذى يجهل تمامًا كيف يعيش بعيدًا عن الثلج ، وبعيدًا عن أى أقران له ، بما أنه من الكائنات الاجتماعية التى لا تعرف معنى الحياة دون رفاق !

لا شكّ أن (ديمترى) يجرى تجربة عليه ، أو ربما هو بطريق معدل جينيًا ..

ليس هناك ما هو مستبعد على (ديمترى) !

فجأة ، رنّ هاتف (منذر) وانتزعه من بحر أفكاره :

ـ آلو ..

أتاه صوت الصحفى (يوسف سليمان) ، بطل المملكة السابق فى الجمباز ، والذى يعمل فى صحيفة (المرايا) الأسبوعية ، والذى يسكن بجوار بيت (سامر) ، والذى يوصله (سامر) أحيانًا إلى مقر صحيفته :

ـ نعم يا (منذر) ..

سأله بلهفة :

ـ هل وجدت لى أى شىء عن المؤتمرات التى تجرى فى (تركيا) هذه الأيام ؟!

ـ لحسن الحظ ، لم أجد إلا مؤتمرين ، والمؤتمران سيقامان غدًا .. الأول مؤتمر طبى تقيمه جمعية مكافحة السرطان التركية ، للحديث حول آخر ما وصل إليه الطب بشأن هذا المرض الخبيث ، وسيقام فى (مارماريس) ، والثانى مؤتمر حول صناعة السلاح ، مع أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا بما يتعلق بها القطاع ، وسيقام هذا المؤتمر فى (إسطنبول) ، فى منطقة (أكساراى) بالتحديد ، وهو تعاون بين الجيش التركى والمخابرات التركية ، ويستضيفون فيه أكبر شركات الأسلحة فى العالم ..

قالها (يوسف) ، ثم أردف باهتمام يخالطه الشك :

ـ .. لكن لم تقل لى ؛ لم تسأل عن هذه الأمور ؟! هل لها أى علاقة بالمخابرات العلمية ؟!

ضحك (منذر) ، وهو يحلّل الكلام الذى أخبره إياه (يوسف) فى جوانب رأسه ، وقال :

ـ كلا يا رجل ، من باب الفضول فقط .. وحتّى لو كان لها أى علاقة ، هل تظن أننى سأخبرك ؟!

وأنهى المكالمة دون أن يترك له مجالًا للتعليق ، ليجد (ديمترى) ينظر إليه بوجه ممتقع ..

ـ (ديمترى) ، ماذا هناك ؟!

هتف بها وهو يقترب منه ، ليجيبه (ديمترى) :

ـ (أورهان أوزرلى) ..

ـ ما به ؟!

وكانت الصدمة :

ـ مات !

* * *

خيّم الصمت للحظات عليهما ، قطعه تنهّد (منذر) العميق ، حيث ألقى نفسه على المقعد الوثير الذى أمامه ، قائلًا باستياء :

ـ فقدنا طرف الخيط الوحيد ..

فجأة بدا على (ديمترى) وكأنه انفصل فى عالم آخر ، وارتسمت على ملامحه علامات التفكير العميق ، وجمد تمامًا فى مكانه ، وشردت عيناه حدّق فيه (منذر) قليلًا ، ليستنتج دون شرح أن (فابيو) الآن يتكلم معه عبر مخه مباشرة ، عبر تلك الشريحة الإلكترونية التى برأس (ديمترى)!

لن يفهم (منذر) أبدًا موضوع (فابيو سكاشيتشى) هذا ، الجثة الحية الذى كان عضوًا بعصابات مافيا الدماغ كما عرف مرة ، والموصول بالكهرباء والإنترنت والأقمار الصناعية !

ـ لحظة ، يبدو أنّ هناك ما هو أسوأ من موته !

هتف بها (ديمترى) ماذا يده إلى (منذر) ، الذى استجاب له ، ونهض

معه حيث حاسوب (ديمترى) المحمول ، الذى سرعان ما وضعه صاحبه فى حضنه كالعادة ، واندفعت أصابعه بسرعة على لوحة المفاتيح مجددًا ، قائلًا :

ـ أخبرنى (فابيو) أنّه ليس هناك من أى أثر لهذا الرجل .. يبدو وكأنما ظهر من العدم ، لا توجد عنه أى معلومات فى الشبكة ، ولا فى جميع السجلات المعلنة والسرية .. لا توجد له صور ، ولا حسابات فى مواقع التواصل الاجتماعى ، ولم نجد صورًا لهوية مدنية أو عسكرية له ، أو صورًا لجواز سفر ، أو أى بطاقات رسمية من أى نوع .. لا شكّ أنهم يضربون أخماسًا فى أسداس الآن ، حيث تقبع جثته ، هناك ، بالمستشفى ..

ـ غريب جدًا ..

ـ جدًا !

غمغما بها ، قبل أن ينهض (منذر) ، ويمشى فى المكان قليلًا ، ويقول مستغرقًا بالتفكير :

ـ الذى نقوله الآن ، إن الرجل المطعون هو (أورهان أوزرلى) الذى لا نعرف عنه غير اسمه ، ولم يجد (فابيو) أى إثبات لهويته أو شخصيته ، والذى طعنه شاب اسمه (سيلجوق) ، والده هو زعيم العائلة التركية (نوران باموق) ، والذى سيسعى للانتقام حتمًا ومعرفة من قتل ابنه ، ونقول أيضًا إن (سامر) فى هذه اللحظات يحاول اكتشاف ماهية السائل أزرق اللون ، الذى كان مع القتيل فى الحقيبة ! أليس هذا صحيحًا ؟!

أومأ (ديمترى) برأسه :

ـ نعم ، صحيح تمامًا ، لقد لخصت الموقف بأفضل ما يكون ، ونسيت شيئًا واحدًا مهمًا ..

ـ ما هو ؟!

ـ (ديالا) و (كريم) .. أخشى أن يتعرف هؤلاء الأوغاد على هوية (سامر) وأن يصلوا إلى الحقيقة التى تقول إن زوجته وابنه أيضًا فى (تركيا) !

سأل (منذر) بقلق :

ـ وماذا يعنى هذا ؟!

أجاب (ديمترى) بقلق أكبر :

ـ أن يصبحوا رهائن !!

* * *

ارتفع رنين جرس الهاتف المحمول فى مكتب (توران) ، الذى التقطه من أمامه بسرعة البرق دون حتى أن يقرأ الاسم المدون على الشاشة ، وهتف بانفعال :

ـ نعم يا (شاهين) ..

أتاه صوت (شاهين) بانفعال مماثل :

ـ نعم يا سيدى ، وصلنا لمعلومات مهمة جدًا بخصوص الرجل الذى قتل (سيلجوق) وأخذ الحقيبة ..

كادت يده تعتصر الهاتف وهو يقول :

ـ من هو ؟! مع من يعمل ؟!

تلجرت الحيرة من صوت (شاهين) وهو يجيب :

ـ هذا أغرب ما فى الأمر يا سيدى .. إنه مجرد سائق تاكسى ، من (الأردن) ، اسمه (سامر رمضان) ، ويبدو أنه هنا فى زيارة سياحية ، أو بغرض ما آخر لم نستطع معرفته .. المهم أنه هنا فى (إسطنبول) ، وعرفنا من بعض المصادر أنه يسكن الآن فى فندق رخيص ، قرب (تقسيم) ..

قال (توران) بدهشة :

ـ سائق تاكسى من (الأردن) ؟!

ثم أردف :

ـ .. لا شكّ أنه يعمل مع الشرطة الدولية أو مع قسم ما من أقسام المخابرات العامة بدولة من الدول التى تلاحقنا وتصر على إثارة الشغب واللغط حولنا دائمًا .. هذا غطاء له ولا بدّ ..

وسكت قليلًا ، واستطرد :

ـ .. وأين أنتم الآن ؟!

ـ نحن قريبون منه ، ربما نصل إليه خلال نصف ساعة كأقصى حد ، لا تنسى الزحام الشديد فى هذه الفترة من النهار يا سيدى ..

قال (توران) مؤكدًا ، بصرامة :

ـ أريده حيًا يا (شاهين) ..

ـ نعم يا سيدى ، بالتأكيد ..

ـ وإياكم أن تحضروه إلىّ هنا بدون الحقيبة ..

ـ نعم ، نعم ..

ـ أنتظركم ..

قالها (توران) وأغلق الخط مباشرة ، وألقى نظرة سريعة على ساعة يده ..

شرد للحظات ، وغطس قليلًا فى مقعده ، وأخذ يحك ذقنه بسبابته وهو يفكر ..

غدًا المؤتمر ، ويجب أن تكون الحقيبة معه ، ليرى العالم ما الذى تستطيع المافيا التركية فعله ..

.. وما الذى يستطيع (توران باموق) فعله !

* * *

بعد أن ابتسمت لرجل كبير فى السن ، يمشى بجانب زوجته ، فى الطابق الذى أنا فيه بالفندق ؛ دلفت إلى غرفتى ، وأغلقت الباب خلفى بسرعة ، ووضعت الأكياس أمامى ، على السرير ..

لم يستغرق غيابى أكثر من ساعة ، كانت كافية لأن أشترى كلّ ما أحتاج من أدوات سلكية ولاسلكية ، وكهربائية ، ولم أنس بالطبع أن أمرّ على

الصيدلية ، كى أشترى بعض المواد الكيميائية المهمة ، التى سأحتاجها لاحقًا ..

رنت على (ديالا) عدة مرات فور دخولى الغرفة ، لكننى كنت فى غاية التركيز تجاه الأمر الذى أريد فعله ، لذا تجاهلت اتصالاتها ، وقلت لنفسى إننى سأتصل بها فور انتهائى ..

أضأت الأنوار ، وأخذت بسرعة أعمل على تركيب القطع التى اشتريتها ، ماركًا وصاهرًا أثناء عملى ما أتوقع له أن يفيدنى فى تحليلى للمواد التى بداخل الزجاجة ..

أعملُ وأبتسمُ فى أعماقى ، لا شكَّ أن (ديالا) تحظى بوقت ممتع مع (كريم) .. (تركيا) جميلة حقًا ولكننى لم أستمتع بها كما يجب حتى الآن .. أفكر .. لا شكَّ أن (ديمترى) و (منذر) قد وصلا إلى معلومات كافية بشأن المؤتمر ، وبشأن (أورهان) ..

همت أن أتصل بهما ولكننى كنت قد انتهيت ، تقريبًا .. الجهاز فى يدى ، وهو ليس أكثر من فكرة مجنونة ، لكن كالكثير من الأفكار المجنونة فى رأسى ، ستنجح .. ليست ثقة هائلة فى قدراتى فقط ، ولكن ، أنا أقوم بالبحث دومًا ، والقراءة ، والتجريب ، بشكل مستمر يثير دهشة جميع من حولى ، دائمًا ..

الأهم أننى أفعل هذا لنفسى ، ولعملى ، وليس من أجل أى أحد أو شخص آخر !

هذا الجهاز ، والذى يبدو منظره مضحكًا جدًا لو رآه أى شخص غيرى ، والذى يبدو شكله أقرب إلى لعب الأطفال ، سيتيح لى أن أحلل طبيعة السائل الموجود داخل الزجاجة ، عبر الزجاج نفسه ! ودون أن أضطر لأن أفتح أو أكسر شيئًا .. شىء يعتمد على موجة كهرومغناطيسية يتم توليدها عبر الزجاج لتعود حاملةً أثر السائل الأزرق ، لأقوم أنا بعدها بمقارنة هذا الأثر بكل أنواع السوائل فى العالم ، عبر الإنترنت !

وضعتُ الجهاز أمام الزجاجة ، وألصقته بها تمامًا .. ارتجّ قليلًا وتصاعد منه بعض الدخان ، لكن عيناى تعلقت فيه بأمل ، فلعلى أستطيع أن أعرف شيئًا يفيدنى ..

هدأ الجهاز ، ونظرت إلى الشاشة التى انطبع عليها مجموعة كبيرة من رموز اللغة الأولية (الصفر والواحد) لأجهزة الحاسوب ، لأنهض على الفور ، وأقوم بوصل الجهاز مع حاسوبى المحمول ، عبر وصلة لم أنس أن أشتريها من الأسفل قبل قليل ..

لا يمكن لأحد أن يدرى كم هو الشراء مرهق هنا !

لا يمكنك أن تجد متحدثين بالانجليزية وقتما أردت ..

إنهم يعتزون بلغتهم إلى حدّ غريب ، إلى حد أنك قد ترى مجموعة كبيرة من المتاجر دون أى شخص يتكلم الإنجليزية ! اللهم إلا إذا وجدت متجرًا قام بتوظيف أحد الأشقاء السوريين ، ليسهل عملية الشراء والتواصل معه أكثر ، باللغة العربية !

انتزعت نفسى من خواطرى وهززت رأسى بقوة ، وأنا أحلل بيانات الصفر والواحد الخاصة بالسائل ..

حدقت عيناى جيدًا بالشاشة التى أمامى ..

ما هذا ؟!

لا يوجد أىّ تشابه بين هذا السائل وبين أى شىء آخر !

أبدًا !

أعدت الفحص مرة أخرى .. وثالثة ، ورابعة ..

النتيجة نفسها !

لا شىء .. لم أستطع معرفة أى معلومة تفيدنى .. ولا أى نوع من السوائل أو المعادن أو أى شىء معروف داخل هذه الزجاجة ..

رباه ! يبدو الأمر مقلقًا للغاية ..

فكر للحظات قبل أن أرفع هاتفى وأتصل على (ديمترى) .. سمعت صوت الاتصال المعتاد قبل أن يأتينى صوته :

- (سامر) ..

قلت له وقد تهللت أساريرى نوعًا ما :

- العزيز (ديمترى) .. هناك أخبار جديدة ..

قال بلهجة أثارت قلقى :

ـ وأنا لدى أخبار جديدة أيضًا ..

همست أن أسأله ، لكنه أردف مباشرة :

ـ .. بالنسبة لـ (أورهان أوزرلى) ، فقد مات !

ـ ماذا تقول ؟!

ـ نعم للأسف ، مات ..

أضرب جبهتى بيدى :

ـ اللعنة !

أكمل وكأنما لم يسمعنى :

ـ .. كما أننى و (فابيو) بحثنا فى كل شبكة الإنترنت ، وبقاعدة بيانات الشرطة الدولية والمخابرات العلمية عن هويته وعن أى معلومة تفيدنا بشأنه ، لكننا لم نجد أى شىء !

هتفت بدهشة :

ـ كيف ؟! هذا مستحيل !

ـ كلا ، ليس مستحيلًا .. يبدو أن الجهة التى كان يعمل لديها هذا الرجل قوية للغاية ، لدرجة أنها أخفت جميع آثاره على الإطلاق ولم تترك فى مواقع الإنترنت المعلنة والسرية أى شىء يتعلق به !

هتفت مرة أخرى ، والحيرة تكاد تقتلنى :

ـ أى جهة قوية للغاية يا (ديمترى) هذه ؟! الرجل مات مطعونًا من قبل

(سيلجوق) ، وهو رجل كبير فى السن ، وكان يمشى وحده ، وتم طعنه دون مقاومة ، ولو لم أتدخل لكان هذا السلاح أو هذه الزجاجة التى معى الآن ، مع (توران) الآن ..

هتف (ديمترى) بدوره وقد ذكّرته :

ـ هل استطعت معرفة ماهية السائل الأزرق الذى بداخل الزجاجة يا (سامر) ؟!

قلت بأسف :

ـ كلا ، لم أستطع .. قمت بعمل جهاز لفحص السائل عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية ، لكنه لم ينجح ..

قال (ديمترى) متفهمًا ، وبنبرة بطيئة :

ـ نعم .. نعم .. موجات كهرومغناطيسية .. هل استعملت خلاصة الراديوم بعد توجيهها بموجات ألفا الصوتية ؟!

قلت بإعجاب :

ـ نعم ، لقد فعلت هذا بعد أن قمت بتجهيز المواد اللازمة .. كيف عرفت ؟!

ضحك وقال ، والنشوة تطل بوضوح من موجات صوته :

ـ لا تنس أننا نفكر بنفس الطريقة ، غالبًا .. على كل حال من المفترض أن ينجح الجهاز ، وأن يخبرك بماهية السائل ..

ـ نعم ، الجهاز قام بعمله على أكمل وجه ..

سألنى :

ـ حسنًا ، ما المشكلة ؟!

ـ المشكلة أننى لم أجد أى تشابه بين هذا السائل ، وأى شىء آخر !

هتف بانفعال شديد :

ـ ماذا ؟!

قلبت كفى وقلت :

ـ كما قلت لك .. لا يوجد أى شبيه لهذا السائل الأزرق !

قلتها ، وعقدت حاجبى فى اهتمام ، وغرقت فى تفكير عميق بسرعة ، بينما (ديمترى) يقول :

ـ هذا يؤكد ما أخبرتك به يا (سامر) .. لم أجد شيئًا عن الرجل فى قاعدة البيانات التى لدينا وفى شبكة الإنترنت كلها ، كما لم تجد أنت أى شىء قد يفيدك فى معرفة كنه السائل الأزرق ! أنا متأكد أن هذه الزجاجة شىء كبير ، أكبر من مجرد سلاح ، وأن الرجل (أورهان) أكثر من مجرد قتيل ! حتمًا هناك جهة ضخمة للغاية ، مسؤولة عن هذا الرجل ، وعن إحاطته بجدار الغموض الكثيف الهائل هذا ..

واستطرد بعد أن أطلق تنهيدة طويلة :

ـ رباه !

ـ لكنه مات مقتولًا .. ولا نعرف سبب طعنه وقتله حتى الآن ! وأيضًا لم نستطع أن نعرف شيئًا عن هذه الزجاجة يا (ديمترى) ! هذا يقلقنى جدًا ..

قال (ديمترى) فجأة :

ـ (سامر) ، نسيت أن أخبرك شيئًا ..

ـ ما هو ؟!

ـ هناك مؤتمران غدًا .. الأول متعلق بالسرطان ، والثانى متعلق بالأسلحة ..

ـ بالأسلحة ؟!

هتفت بها بدهشة وأنا أفكر .. هل من المعقول أنهم يريدون تفجير مؤتمر الأسلحة بسلاحهم الذى لا نعرف قدراته هذا ؟! من المؤكد أن الهدف ليس مؤتمر السرطان .. هو مؤتمر الأسلحة .. نعم بالتأكيد .. لا بدّ أن هذا هو الهدف ..

ستكون هذه أكبر حملة دعائية وإعلانية لهم .. وهل هناك أفضل من استعمال سلاح جديد لم يصل إليه أحد ، فى مؤتمر كبير عن الأسلحة ، لا شكّ أن هناك عددًا هائلًا يهتمون به ، من ضمنهم رؤساء الدول ، ودوائر المخابرات ، والجيوش ، والجماعات الإرهابية المنظمة ؟!

ستكون هذه هى ضربة (توران) القاضية لو فعلها واستطاع أن يفعل هذا .. سيرى العالم كله قوة المافيا التركية !

فكرت بهذا بسرعة فى صمت ، وأنا أنظر للزجاجة فى يدى ، وقد تضاعف ألف مرة ، بينما التزم (ديمترى) الصمت تمامًا أيضًا ، وقد بدا أنه غرق فى أفكاره أيضًا ..

www.riwaya.ga

سألت (ديمترى) :

ـ لماذا لا نقول للمخابرات العلمية ؟!

ـ وهل سيستطيعون فعل أى شىء الآن ؟!

ـ نعم ، السلاح معى ، وأستطيع العودة به دون أن يشك بى أحد ، أو أستطيع تسليمه للسفير الأردنى فى (إسطنبول) ، بعد أن أخبر السيد (قاسم) .. بشكل عام هناك أكثر من حل .. لن نعجز عن ابتكار واكتشاف حل لهذا الأمر السخيف ..

يقول بانفعال فجأة ، بعد أن تثاءب بقوة :

ـ وماذا لو كانت هناك خطة بديلة يا (سامر) ؟!

ـ خطة بديلة ؟!

ـ نعم ، خطة بديلة .. الخطة (ب) فى حال فشلت الخطة الأولى .. ربما هناك سلاح آخر .. ربما هناك شىء كانوا سيقومون بعمله فى حال فشل (سيلجوق) بإحضار الحقيبة .. ربما هذا السلاح سيعمل فى حال وجود سلاح آخر يقوم بتحفيزه وتنشيطه كما وضعنا فى قائمة الاحتمالات منذ البداية .. هناك عدة احتمالات ، وكلها مثيرة للقلق والتوتر .. هل يمكنك أن تخاطر بأىٍ من هذا ؟!

أقول فى ضيق ، مطلقًا تنهيدة عميقة ، حارة :

ـ لا ، لا يمكننى أن أخاطر بشىء ، كما أن الـ ..

لم أتم عبارتى .. والتزمت الصمت التام بغتة !

ـ (سامر) .. لم تكمل عبارتك ..

قالها (ديمترى) فى قلق ، لأهمس له بخفوت شديد ، وأنا أنهض ، واضعًا الزجاجة على الأرض قرب باب الثلاجة ، مقتربًا من باب الغرفة بهدوء :

ـ صه يا (ديمترى) ..

ـ ماذا هناك يا (سامر) ؟! ماذا هناك ؟!

همس بها بصوت كالفحيح ، ولم أجبه ، بل اقتربت من باب الغرفة ، وأرهفت السمع جيدًا ..

هناك أصوات أقدام ، يبدو أن عددهم ثلاثة رجال .. بل أربعة رجال فى الواقع ..

.. وهم أمام باب غرفتى تمامًا !

* * *

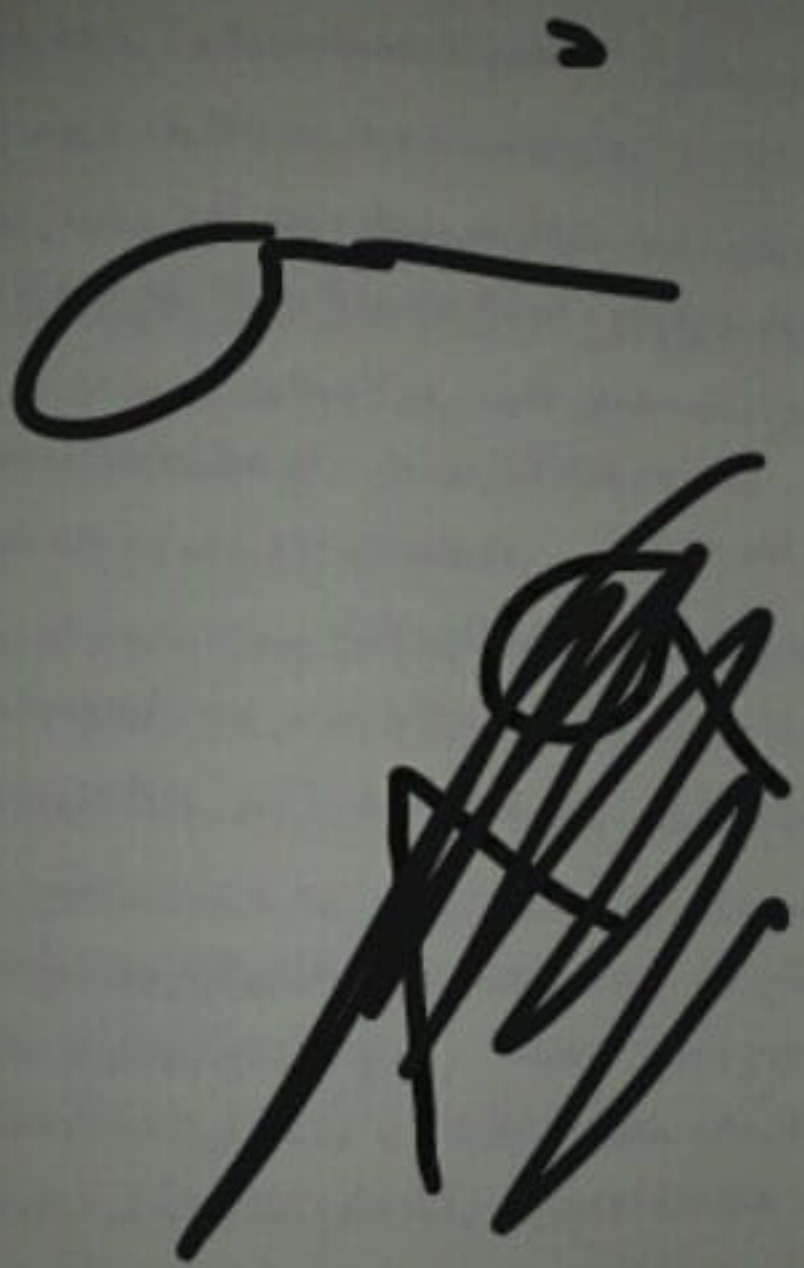

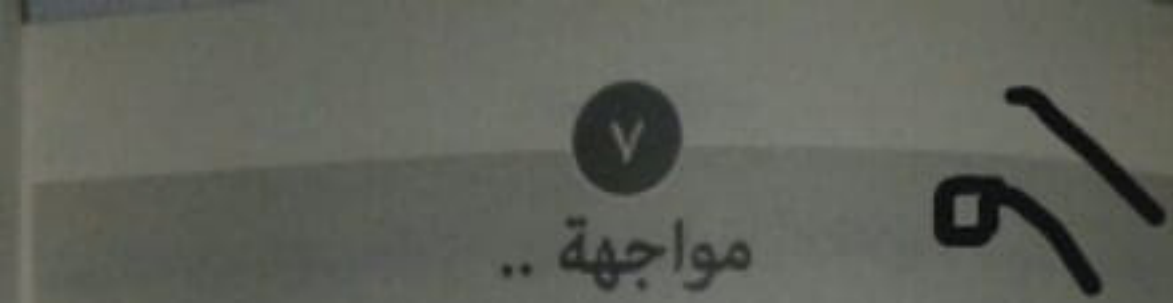

٧ مواجهة ..

أصغيت السمع جيدًا ، يتحدثون باللغة التركية فيما بينهم ، ويحملون بعض الأسلحة .. أستطيع تمييز صوت الأسلحة، ويبدو أنهم على وشك اقتحام الغرفة دون أن يهتموا بأى شىء آخر ..

عندما تعمل مع زعيم المافيا التركية ، من يستطيع أن يعترض على ما تقوم به ؟! لو اقتحموا المكان وحطموه تحطيمًا ، يكفى أن يعرف رجال الشرطة أو أصحاب الفندق أنهم من رجال (توران) ولن يحركوا ساكنًا ، هذا ما أتوقعه ..

همست مخاطبًا (ديمترى) الذى ما يزال على الخط :

- أكلمك لاحقًا ..

ولم أسمع جوابًا لأننى أنهيت الاتصال على الفور ووضعت الهاتف على الوضع الصامت ، وبأسرع ما عندى ألقيت نظرة على ما حولى ، هناك مصباح قريب منى ، يرتكن على عامود حديدى طوله نصف متر تقريبًا ، وعلى بعد مترين كان باب الحمام ..

اقتربت وأمسكت المصباح وأخذته معى إلى الحمام ، وما أن أغلقت الباب بهدوء شديد حتى اقتحموا الغرفة خالعين الباب من مكانه ، وهم يصرخون ويطلقون النار نحو السقف ، مما منحنى فكرة أن هذا بقصد تخويفى فقط وأنهم لا يريدون قتلى .. بنفس الوقت كنت قد فككت المصباح عن القاعدة الحديدية ، ممسكًا بها ، واقفًا قرب الباب من الداخل .. سمعت صراخًا من

نفس الطابق ، لكننى أبقيت تركيزى عليهم ، أتراك جدًا ، وكل واحد منهم لديه شارب ضخم ..

لمحنى أحدهم يقترب من باب الحمام فجأة دون أن يرانى ، وهذا ما كنت أريده ، دفعت الباب فجأة وأنا أرمى القاعدة الحديدية لتصطدم بأحدهم ، متفاديًا رصاصة أطلقها الثانى الذى يقف قرب باب الغرفة بجانبى ، راكلًا الذى أمامى بمنتصف وجهه ، وأنا أدور حول نفسى لألكم الثانى فى معدته مباشرة ..

المسدس يقفز من يده نحو يدى مباشرة ، ألتقطه فى الهواء وأطلق النار بشكل عشوائى ، أشعر أننى فقدت أعصابى رغم أننى خلال ثوانٍ معدودة هاجمتهم جميعًا .. سقط اثنان يصرخان من الألم بعد أن اخترقت الرصاصات سيقانهم ، وأنا أطلق رصاصتين أخيرتين فى المسدس قبل أن تصدر تلك التكة الخافتة التى تعنى انتهاء الرصاص من المسدس !

نظرتُ إليهم ، كان آخرهم والذى ارتطمت القاعدة الحديدية فى صدره بمواجهتى ، بينما الثلاثة على الأرض ، والصراخ ما زال يعلو هنا وهناك فى الفندق ، بينما انطلق جرس الإنذار المزعج يزيد الموقف سوءًا ..

هجم علىّ وهو يصرخ ، لأعاجله بلكمة قوية صدها فى يده ، ويلكمنى مباشرة فى صدرى ، بقوة عجيبة ، جعلتنى أشهق بقوة ، وأسقط على الأرض مرتطمًا بالطاولة التى فى منتصف الغرفة ..

يقفز نحوى ويركلنى مرة أخرى فى بطنى ، وأصرخ من الألم ، ما هذا بالضبط ؟! هل هذا مسدس آخر بجانبى ؟!

أحاول أن أمسكه لولا أنه يكاد أن يهرس يدى وأصابعى بحذائه الثقيل ، قبل أن يميل علىّ ويرفعنى بيديه الاثنتين ، ويقول لى وعيناه تتفحصان كل سنتمتر فى ملامحى :

ـ لولا أن السيد (شاهين) طلبك حيًا ، لكنتَ جثة منذ لحظة دخلنا هذه الغرفة ..

أقول فى إعياء ، محاولًا أن ألكمه فى أنفه :

ـ ومن (شاهين) هذا أيضًا ؟!

ـ أنا يا سيد (سامر) ..

رجل قصير القامة ، عريض المنكبين كالملاكمين ، ذو شعر قصير ولحية قصيرة أيضًا ، ويرتدى عوينات طبية بدون إطار ، دخل الغرفة وهو يرتدى قفازات سوداء ، قائلًا هذه العبارة ..

نظرتُ إليه ، وألقانى الرجل الذى يحملنى على الأرض ، وعند ساعديه وهو ينظر إلىّ فى تحدٍ ، بينما اقترب منى (شاهين) وهو يقول بطريقة مستفزة :

ـ سائق تاكسى يكاد يتغلب على أربعة رجال من المافيا ! هذا خبر لطيف لا يعنى إلا شيئًا واحدًا ..

وجلس على مقعد مقابل لى ، وهو يبتسم ويردف :

ـ .. أنك لست سائق تاكسى !

قلت محاولاً كسب المزيد من الوقت :

ـ ما الذى تتوقعه من رجل يجد بعض الرجال يقتحمون غرفته وهم مسلحين ؟! هل سيصرخ ويبكى كالنساء مثلاً ؟!

تتسع ابتسامته وهو يقول :

ـ أنت لست سائق تاكسى ، دعك من الألاعيب ، كما أنّ الحقيبة معك ، الحقيبة التى أخذتها من (سيلجوق) بعد أن قتلته ..

ـ لم أقتل أحدًا ..

قلتها وأنا أهزّ كتفى نفيًا ، ليطلق ضحكة طويلة ويتبعها بقوله :

ـ فلنر ما رأى السيد (توران) حول هذا الأمر ..

ـ (توران باموق) ؟!

أقولها بنبرة حاولت أن أسيطر عليها ، هذا رائع ، من الجيد أنهم لم يقطعوا شيئًا الآن ، بل سيأخذوننى إلى الرأس الكبير ، (توران) شخصيًا ، والذى لا شكّ أنه ليس سعيدًا برؤيتى بعد أن قتلت ابنه وسرقت الحقيبة ..

ـ أين الزجاجة ؟!

خاننى انفعالى إذ نظرتُ بسرعة إلى المكان الذى وضعت فيه الزجاجة ، قرب باب الثلاجة من الجهة اليمنى ، والتى لحسن الحظ لم يأت باتجاهها أى رصاصة أو أى شىء ، وأنا أقول :

ـ أىّ زجاجة ؟!

المشكلة أنه لاحظ أن ، هذا الوغد دقيق الملاحظة وقد انتبه إلى المكان الذى ألقيت نظرة عليه لجزء من الثانية ، ابتسامته بقيت على وجهه وهو يذهب هناك ويتناول الزجاجة بين يديه ، ويقول لى بظفر وثقة :

ـ هذه الزجاجة !

هتفت بكل انفعال :

ـ ما هى ؟! ما الذى تفعله ؟!

لم يجبنى (شاهين) للأسف ، فقط اكتفى بأن أشار للرجل الضخم برأسه ، ولوجنت به بتكمنى بقوة على أنفى ، اللكمة فجرت الألم فى رأسى ، قبل أن أفقد الوعى مباشرة ..

.. وأغيب عن الوعى !

* * *

نظر (منذر) نحو (ديمترى) وسأله بقلق :

ـ هل عرفت أى شىء ؟!

كانت أصابع (ديمترى) تجرى على لوحة المفاتيح بسرعة ، وكان يفحص عنيه كل عدة ثوانٍ مما يعنى أن (فابيو) يقوم بإعطائه بعض المعلومات ، ظل صامتا ولم يجبه قبل أن يقول له :

ـ يبدو أن الرجال الأربعة كما أخبرنى (سامر) قد تمكنوا من التقنب عليه ، اتصلت به عدة مرات لكنه لا يجيب ، أعتقد أنه وضع الهاتف على الوضع الصامت قبل أن يواجههم ..

ثم التفت إليه وقال :

ـ .. علينا أن نفعل شيئًا يا (منذر) .. عليك أن تفعل شيئًا ..

نهض سريعًا ووقف وقال وهو ينظر فى عينيه :

ـ أخبرنى ، ما الذى يجب أن أفعله ؟!

فكر قليلًا قبل أن يجيب :

ـ اتصل بالسيد (قاسم) ، أخبره سريعًا بما حدث وأخبره أن عليك الذهاب مباشرة إلى (إسطنبول) لأن (سامر) يحتاج إليك ..

نظر (منذر) إليه فى دهشة :

ـ أسافر إلى (إسطنبول) ؟! الآن ؟!

تجاهله (ديمترى) وهو يقول :

ـ الآن ودون تأخير ، أخبرنى (فابيو) أنه استطاع عبر كاميرا أمام الفندق تسجيل خروج لخمسة رجال يحملون رجلًا فاقدًا للوعى ، وركبوا جميعًا بعض السيارات الحديثة قبل أن ينطلقوا دون أن يعترضهم أحد .. هؤلاء رجال (توران) بالتأكيد ، وفاقد وعيه هو (سامر) ! لا تنسى أنّ (سامر) قتل (سيلجوق) ابن (توران) ، وأنه سيحاول انتزاع كل شىء يعرفه (سامر) بالقوّة وربّما بالتعذيب ، لا تنسى أنه يريد قتل (سامر) حتمًا للانتقام لموت ابنه (سيلجوق) .. يجب أن تذهب .. يجب ..

ـ وأنت ستبقى هناك ؟!

كان سؤاله منطقيًا لكنّ جواب (ديمترى) كان منطقيًا أكثر :

ـ ان أستطيع فعل شيء هناك ، فوّتنى هنا ، مع هذه الأجهزة ومع (فابيو) ، سأظل معك هناك أرشدك طوال الوقت عبر الهاتف ، وعبر هذه السماعة الصغيرة ..

قالها وهو يعبث فى درج مكتبه ، ثم أخرج سماعة صغيرة سوداء وناولها لـ (منذر) الذى سأله :

ـ هل كلّ شيء هنا من تطويرك ؟!

ـ ليس هناك وقت لهذه الأسئلة ، اذهب فوزا للسيد (قاسم) واطلب منه أى وسيلة تنقلك إلى (تركيا) الآن ، لا تدرى ما الذى يمرّ به (سامر) أو ما الذى سيمرّ به فى الساعات المقبلة ..

ـ حسنًا ، سأذهب الآن ..

تثاءب (ديمترى) ، ثم قال فى حزم وهو يجلس أمام لوحة المفاتيح، ويعود للعمل بكلّ انهماك وتركيز :

ـ سأرى إن كان هناك أى شيء آخر ربما عرفه (فابيو) من تسجيلات كاميرا الفندق ، وسأحاول تعقّب هاتف (منذر) ، أرجو أن يظلّ مفتوحًا وألاّ يقفله أحد ..

ـ هل تستطيع تتبع الهاتف دون أن يكون متصلًا بالإنترنت ؟!

ـ الجواب سيكون طويلًا للغاية إن أردت شرحه لك مفصلًا ، ربما فى وقت آخر ، الآن لا تملك هذا الترف ، خلاصة الأمر أننى أستطيع تتبع أى هاتف دون إنترنت ، نعم .. اذهب الآن ..

اندفع (منذر) إلى الخارج دون أى كلمة أخرى ، بينما أخرج (ديمترى) هاتفه المحمول واتصل على قسم الطلبات الخارجية فى مطعم (ماكدونالدز) ، طلب وجبة كبيرة وأعطاهم العنوان ..

.. وعاد إلى لوحة المفاتيح لينهمك من جديد !

* * *

ركض (كريم) من بعيد وقفز مباشرة فى حضن (ديالا) ، بالضبط مع صوت (كليك) الذى صدر من الهاتف المحمول الذى تمسكه تلك الفتاة ذات الشعر البنى ، القريبة منهما ، والتى كانت تصوّرهما ..

ـ شكرًا حبيبتى ..

ـ ليست هناك مشكلة ، عفوًا ..

قالتها الفتاة وضحكت ، نظرت إليها (ديالا) وقالت بينها وبين نفسها إنها على الأغلب لو أنجبت بنتًا فستكون تشبه هذه الفتاة ..

نظرت إلى (كريم) السعيد للغاية بكلّ هذا الثلج ، نظرت حولها إلى كلّ هؤلاء الذين مع زوجاتهم وأولادهم ، إلى تلك الأحصنة التى تمشى فى الثلج دون أن يهمّها شىء ، ثم نظرت إلى هاتفها المحمول وغصة تعتصر قلبها .. (سامر) لم يتّصل بها منذ ساعات وهذا الأمر يقلقها ، ربما هى تشكّ بطريقة زائدة بسبب ما حدث معه بعد عودته للمخابرات ، أو .. لا تدرى ! المهم أنها تشعر بشىء واحد ولا تستطيع تفسير هذا الشعور : (سامر) فى خطر !

فى هذه اللحظة تمامًا رنّ هاتفها ، إنه (ديمترى) ، ضغطت زرّ الإجابة بلهفة وهى تقول :

ـ نعم يا (ديمترى) ..

أتاه صوتها جديًا للغاية ، بشكل لم تألفه فيه :

ـ اسمعنى يا (ديالا) ، واصلى الاستمتاع برحلتك دون تفكير بأى شىء آخر ، (سامر) بخير ونحن نتابعه ونراقب كلّ تحركاته ولا يجب أن تقلقى عليه أبدًا ، زوجك محترف حقيقى ، عليك فقط أن تكونى مستعدة لأى شىء قد يطلبه منك (منذر) .. هو فى الطريق إلى (إسطنبول) بالمناسبة ، الآن !

هتفت (ديالا) بدهشة جديدة محاولة أن تفهم أى شىء :

ـ ماذا ؟! (منذر) فى الطريق إلى (إسطنبول) ؟! الآن ؟! ما الذى يحدث مع (سامر) بالضبط يا (ديمترى) ؟! وهل هذ ..

قطعها بطريقة مستفزة :

ـ أرجو ألا تسألى كثيرًا ، سيأتى (منذر) ، وأرجو منك وقتها أن تصغى له جيدًا ، لا بدّ أن أذهب ، ورائى عمل مهم ..

ثم أغلق الخط دون أن يترك لها أى فرصة بأى سؤال وجواب ! أعادت الاتصال عليه بعصبية شديدة دون جدوى ، لم يردّ عليها .. لم يعرف (ديمترى) أنه بانصاله لم يطمئنها .. هو فقط فجّر فضولها وذعرها وقلقها ..

ـ أف مرّة !

* * *

استمع مدير المخابرات العلمية ، السيد (قاسم داود) ، لكلّ حرف قاله (منذر) ، ولم يكذب خبرًا ، رغم أنه كان يريد أن يعرف بكلّ هذه التفاصيل أولًا بأول ، ورغم أن (سامر) و (ديمترى) تصرّفا وتعاونا من تلقاء نفسيهما دون الرّجوع لأحد ..

خلال نصف ساعة فقط كان (منذر) فى المطار ، ثمة طائرة صغيرة سريعة قادرة أن تنقله إلى (إسطنبول) خلال ساعتين ، ليتابع ما يريد أن يتابعه ، وليحاول إيجاد (سامر) بمعاونة (ديمترى) الذى يستعين بـ (فابيو) فى كلّ شىء ..

وعندما ركب الطائرة وأقلعت به ، كان يحدق من النافذة وجملة واحدة تتكرر فى رأسه :

أرجو أن يكون (سامر) بخير !

أرجو أن يكون (سامر) بخير !

.. أرجو أن يكون (سامر) بخير !

* * *

دوار شديد ، وألم فى أنفى ، واستيقاظ مباغت ، مباشرة بعد أن شعرت بأحدهم يهزّنى من كتفى بقوّة ، ودلو من الماء البارد المثلج فوق رأسى ..

فتحت عينىّ وأنا أشهق ، وأميز نفسى والموجودين من حولى .. هذا الرجل الضخم ، هذا (شاهين) القصير وبيده هاتفى المحمول ! وبجانبه رجل أصلع وغاضب وضخم الجثة ويبدو قياديًا وصارمًا جدًا ، هو (توران)

بالتأكيد .. الجو دافئ ، وأنا مقيّد وعلى كرسى خشبى ، فى مكتب يبدو فخما ، فيه سجاجيد وأثاث يدلّ على الثراء الفاحش ..

- (سامر رمضان) ، أليس كذلك ؟!

قالها وهو ينظر إلى ، نظرت إليه دون أن أجيب ، فاستطرد وهو يشيح بصره خلف ظهره ويتحرّك نحوى ببطء :

- .. أخبرونى إنك سائق تاكسى ولكنّ هذه كذبة ساذجة .. أنت رجل مخابرات على الأغلب ، رجل مخابرات لم يفعل شيئا ، فالزجاجة معنا من جنيه ، و (أورهان) مات كما ترغب تماما ، أنت فقط قتلت (سيلجوق) ..

قالها وقد صار أمامى مباشرة ، ليهوى على بطنى ووجهى وأنفى بلكمات متتابعة ، لكمة ، لكمة ، لكمة ، الألم لا يطاق ، لكننى لن أصرخ ، سأحتمل حتى أفقد الوعى .. تهاوى رأسى على صدرى مجددا قبل أن يندفع الماء البارد المثلج فى وجهى مرة أخرى ، شهقت بقوة وميّزته وهو يمسح يديه من الدم فى ملابس (شاهين) الواقف صامتا ببرود ..

نظرت فى عينيه وقلت له :

- ما الذى تفعله هذه الزجاجة ؟!

نظر إلى ولم يجبنى ، مشى نحو مكتبه ثم جلس على كرسيه ، ووضع صندوقه أمامه ، قبل أن يقول :

- فضولك أكبر من كلّ شىء ، لا تريد أن تعرف إن كنت سأقتلك الآن أم لاحقا ، لا تريد إلا أن تعرف عن الزجاجة وما الذى تفعله .. و ..

قاطعته بوهن :

ـ لماذا لا يوجد أى معلومة عن (أورهان) فى أى مكان ؟!

بدت الدهشة على وجه (شاهين) بينما رفع (توران) حاجبًا قبل أن ينفجر من الضحك ، ثم نهض من المكتب بحركة حادة واقترب منّى وقال وأنفاسه ترتطم بوجهى :

ـ كنت أعلم ! هذا غير طبيعى .. فضولك غير طبيعى ، وتعلم الكثير بسرعة أيضًا ..

ثم اقترب أكثر واستطرد وهو يضغط على كل حرف :

ـ .. (أورهان) ليس من هذا العالم يا (سامر) !

نظرت إليه دون أن أفهم ، مال عليه (شاهين) وأخبره شيئًا بصوت منخفض ، برقت عيناه ولمعتا وكأنه وجد كنزًا ، وضرب كتف (شاهين) بقوة وهو يقول :

ـ عبقرى أنت .. عبقرى ..

والتفت إلىّ وقال :

ـ .. أحترم الذين يتقنون عملهم .. لا أعرف كيف بحثت ولم تجد شيئًا عن (أورهان) بهذه السرعة ، لكننى سأشبع فضولك ولن أجعل رحلتك تذهب عبثًا ، سأقول لك ما تريد أن تعرفه ، وخصوصًا أنك ستكون مع الزجاجة جنبًا إلى جنب فى رحلتها الأخيرة نحو الأبد ..

أى رحلة أخيرة للزجاجة ؟!

ما الذى يقصده بقوله هذا ؟!

أتبع عبارته بضحكة وهو يتبادل نظرة غامضة مع (شاهين) ، وقال :

ـ عليك أن تشكر هذا الرجل ، لن تموت الآن ، ولن أعذبك، ستبقى حيًا حتى الغد ..

ـ حتى المؤتمر ؟!

صفق بيديه :

ـ حتى المؤتمر ، أحسنت .. أريدك أن تكون واعيًا لكلّ ما سيحصل ، أريدك أن تشعر بكلّ شىء ..

ـ ما هو ؟! عن ماذا تتحدث ؟! وأى رحلة أخيرة للزجاجة هذه التى تحدث عنها ؟!

أشار بيده للرجل الضخم فأحضر مقعدًا ووضعه أمامى ، جلس عليه (توران) وأخرج سيجارة ، أشعلها له (شاهين) بسرعة ، نفث دخانها بقوة وقال :

ـ أنا (توران باموق) ، الرجل الأقوى فى (تركيا) كلها ، لا شكّ أنك عرفت هذا بما أنك بحثت عن (أورهان) ولم تجد شيئًا عنه.. لن يجد أحد شيئًا لأنه ليس من هذا العالم ، (أورهان) ليس من هذا العالم يا عزيزى ، (أورهان) رجل سيق جيله كله ، بالمعنى الحرفى للكلمة !

ـ ما الذي تقصده ؟!

ـ (أورهان) من المستقبل !

* * *

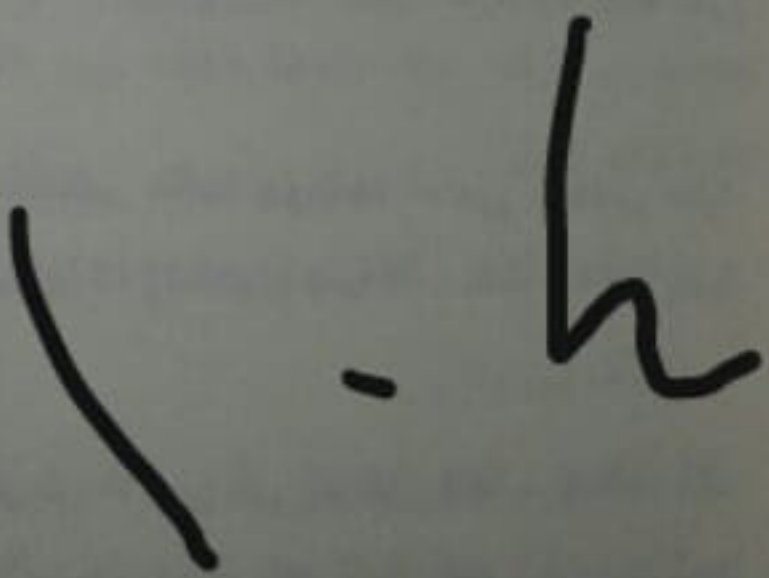

٨

(أورهان) ..

هبطت الطائرة فى المطار ، وشدّ (منذر) ياقة القميص حول عنقه أكثر وهو ينزل على الدرج ، بينما يتّصل على (ديالا) ، التى أجابته بلهفة وسرعة :

- (منذر) ؟!

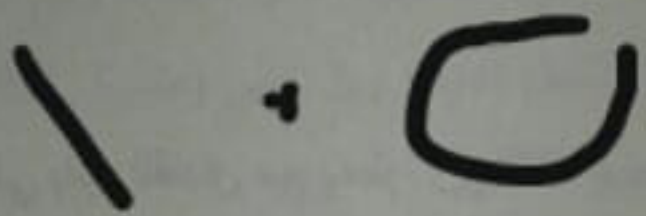

قال بحزم :

- وصلت المطار الآن يا (ديالا) كما أخبرك (ديمترى) قبل ساعات ، أين أنتم ؟!

- نحن فى (بورصة) مع المجموعة السياحية ، الحمد لله على السلامة ، هل من أخبار عن (سامر) ؟! هاتفه مغلق منذ ساعة !

فكّر سريعًا قبل أن يقول أى شىء ، هاتف (سامر) مغلق أى أنّ (ديمترى) الآن يفكر فى طريقة أخرى لتعقب هاتفه ، عليه أن يجد وسيلة أخرى يستطيع بها إيجاد (سامر) وإنقاذه مما هو فيه ، مهما كان وأينما كان ..

قال وهو يتجه إلى قسم التفتيش والجوازات ، ناظرًا إلى أحد رجال المخابرات الذى ينتظره بعد الحاجز ، مشيرًا إليه بالقدوم :

- لا تقلقى ، (ديمترى) يعرف أين (سامر) والمهمة المكلف بها طارئة ولكنها ليست خطيرة ، إننا نتابع كلّ شىء يا (ديالا) فلا تقلقى .. أنا فى الطريق إليك ..

قالت بسرعة :

ـ كلا ، لا تأت ، رحلتنا شبه انتهت فى (بورصة) ، إنهم يجمعون باقى المجموعة الآن ، وخلال ساعتين سنصل الفندق فى (إسطنبول) .. نراك هناك ..

فكر قليلاً ثم قال :

ـ سأنتظرك على باب الفندق مع بعض رجالنا ، وبعدها سنذهب ..

ـ أين ؟!

ـ إلى فندق آخر طبعًا !

بدهشة شديدة :

ـ لماذا ؟!

ـ ستعرفين لاحقًا ، تراكم بعد ساعتين عند الفندق !

* * *

ضرب (ديمترى) الطاولة بقبضته وهو يهتف :

ـ تبًا !

لم يستطع تعقّب هاتف (سامر) لأنه مغلق ، لا بدّ أن يطوّر تقنية معينة للبحث عن أى هاتف حتى لو كان مغلقًا ، لكن عليه التفكير فى تفاصيل كهذه فى وقت آخر ..

نهض واقترب من (فابيو) ، الجثة الحية المحفوظة فى صندوق زجاجى

فى شقته ، تواصل معه فكريًا عبر الشريحة المتطورة فى رأسه وكرّر إلحاح عليه أن يبحث أكثر ..

يجب أن يبحث أكثر ، يجب !

بدأ (فابيو) بالبحث فى التسجيلات والملفات وفى كلّ شىء يستطيع الوصول إليه ، بينما اتصل (ديمترى) على (منذر) ، الذى كان فى سيارة المغادرات بالطريق إلى الفندق :

- (ديالا) و(كريم) أنهيا الجولة السياحية ، إنهما فى الطريق نحو الفندق الآن ، من هناك سننتقل نحو فندق آخر مباشرة ، تحت حراسة مباشرة من قبلنا ، وربما أقنعناها أن تعود إلى (الأردن) ..

ثم سكت وأردف :

- .. بالمناسبة ، أخبرتنى إنها اتصلت على (سامر) أكثر من مرة ولكن هاتفه كان مغلقًا ! هل استطعت تحديد مكانه أم إنهم أغلقوا هاتفه قبل أن تعقبه ؟!

- قبل أن أتعقبه يا (منذر) ..

أطلق (منذر) تنهيدة عميقة وهو يشدّ على الهاتف بأصابعه ، بينما استطرد (ديمترى) :

- .. المهم أن الـ ..

ثم سكت عدة ثوانٍ ، وهتف بفرح :

ـ .. رائع يا (فابيو) !

ـ ماذا هناك ؟! هل وجد شيئًا ؟!

ـ يقول إنه استطاع العثور على رقم واحدة من السيارات التى كانت أمام الفندق ، حيث كان (سامر) ورجال (توران) ، وإنه سيبحث عنها بالأقمار الصناعية حتى يجدها ، سيحاول تعقبها ..

تمتم (منذر) وهو يحك ذقنه بسبابته :

ـ جيد .. جيد ..

ثم أنهى الاتصال ..

السيارة تشق الطريق ، وعيناه تتأملان الشوارع ، والمحلات التجارية ، والزحام ..

وفى الشقة ، تراجع (ديمترى) فى مقعده ، وهو يطلق تنهيدة عميقة ، ناظرًا إلى (فابيو) فى صندوقه الزجاجى بامتنان ..

عسى أن يجد السيارة فى الوقت المناسب ..

.. ولعلّ (منذر) يجد (سامر) أيضًا فى الوقت المناسب !

* * *

حاولت أن أستوعب الأمر ، وأنا أنظر إلى (توران) ، الذى مال إلى الأمام قليلًا وسألنى :

ـ تظنّ هذه الأمور مجرد خيال ، أليس كذلك ؟! تعتقد أننى أمزح ؟!

لو يدرى بالذى حصل بينى وبين الباب ، وكلّ تلك الأسرار المرتبطة بى لو يعرف تفاصيل ما حدث مع ساحرات المالاكان ، أو مع (عبد الرحمن الطبيب) الذى يبحث عن التوائم الصغار !

لو يدرى عن المذؤوب الذى يسافر عبر الزمن ! ما الذى سيقوله ولقها!! ابتسمت فى داخلى رغم كلّ شىء ولم أظهر له هذه الابتسامة بالطبع ، وسألته :

- كلا ، أعتقد أننى أصدق بوجود هذه الأمور .. هو من زمن آخر ، صحّ ، ما الذى يفعله رجل من زمن آخر فى زمننا ؟!

نظر إلىّ ، مستغربًا من سرعة تفاعلى مع الأمر وعدم استنكارى لشىء ، فزراسه ولوّح بيده :

- أنت غريب ! المهم أنّ هذا الرجل من المستقبل ، عالم كبير هو من المتخصصين فى صناعة الأسلحة وتطويرها ، وهذه الزجاجة - أو ما فيها - هى خلاصة ما توصّل إليه ..

وأخرج الزجاجة من جيب معطفه ، واستطرد :

- .. أطلق عليها اسم (ثيلما) ، ولا أدرى لماذا .. هذه الزجاجة أقوى ما توصل إليه على الإطلاق ، يكفى أن نقول كلمة واحدة فقط بجانب الزجاجة ، فتتفاعل العادة التى فى الداخل وتنفجر ، مطلقة أكبر وباء يمكن لك أن تتخيله ! حاول أن تفهم ما أقول لك جيدًا لأنّ هذا أجمل من أن أقوله مرة أخرى ، هذه العادة ذكية ، المحلول الذى بالداخل ذكى جدًا ! ويستطيع أن

يميّز الكلمة التى تُقال له ، وبعد ساعة فقط من قولنا للكلمة ، تنتهى سلسلة التفاعلات الكيميائية فى هذا المحلول لينفجر ، وينطلق بعدها الوباء الأكبر على مستوى (تركيا) ! القنبلة البيولوجية الأعظم على الإطلاق .. تخيّل ، كلّ شىء فى حدود عشرين كيلومترًا سيموت ! كلّ شىء سيتمّ تدميرة تمامًا من الداخل ، ولن يكون هناك أى آثار أخرى للتفجير والموت خارج نطاق الكيلومترات العشرين ..

ونهض عن المقعد وهى يشير بيديه بانفعال :

ـ .. هل يمكنك أن تتخيل الأمر ؟! وباء قاتل وسلاح جبار ، وأستطيع تحديد منطقته الجغرافية بدقة هائلة ، فقط عشرون كيلو مترًا .. أى أنك لو كنت على خمسة أمتار من الانفجار ستشعر ببعض اللهيب وربما تتطاير عليك بعض الشظايا فقط لأن الدّمار سيكون من الداخل ، أى أنّ البنايات والسيارات مثلًا التى ستنفجّر ستنفجر ضمن نطاق مساحتها ، ولن تتناثر الأشلاء والأجزاء فى كلّ صوب .. هذا أيضًا مع الناس ، سيشعرون باحتراق بأكلهم من الداخل وسيتعذبون بشدّة قبل أن تهاجمهم حمّى غريبة تفترس أجسادهم بسرعة مذهلة ، وتميتهم فى دقائق ..

لا أعرف كيف سألته :

ـ هل سيسعدك هذا ؟!

قلّب كفيه وهزّ كتفيه وهو يجيب :

ـ آثار جانبية ، (سامر) ، آثار جانبية .. لا بدّ أن أعلن بقوّة أمام العالم كله عن المافيا التركية ، لأنّ القادم أعظم ، هذه المرحلة الأولى فحسب !

أفكر وأنا أنظر إليه : هذا الرجل مجنون حقيقى ..

لا شك أن لديه ولع بالسيطرة وأنه يعتقد أن هذا سيحصل بسهولة إن فعل هذا الذى يقوله ، ولا أحد يدرى ما المراحل القادمة إن كان كلّ هذا يدخل ضمن نطاق أول مرحلة فقط !

ـ كيف استطعتم الوصول إلى (أورهان) ؟!

سألت بكل فضول ، فالحيرة التهمتنى من الداخل ، نعم ، المافيا التركية قوية جدًا ولكن ليس إلى درجة أن يأتوا برجل من المستقبل! هناك شىء لا أعرفه ..

التفت إلىّ بجسده كله وقال :

ـ كيف استطعنا أن نصل إليه ؟! هو وصل إلىّ يا (سامر) ! الرجل أتانى مباشرة بعد أن أخبرنى ببعض الأسرار التى لا يعرفها سواى فى الكون ، وهنا فجر حيرتى حتى أقصى حدّ ، لكننى رجل واعٍ ومتفهم ، سمعت كل كلمة قالها ، وعرفت أنه جاء من مستقبلنا ومعه (ثيلما) ، كى نستعرض قوتنا أمام المؤتمر غدًا ، فما حدث فى المستقبل بعد ثلاثين عامًا من اليوم لم يكن جيدًا أبدًا ..

صمت قليلًا ، أشعل سيجارة أخرى ثم أكمل :

ـ .. المستقبل الذى جاء منه غارق فى حروب عجيبة ، هناك معارك طوال الوقت و(تركيا) لم تعد آمنة على الإطلاق ! وكلّ هذا بسبب أسلحة سيتم الإعلان عنها فى مؤتمر الغد .. هى ستكون بداية الدمار الحقيقى

للأرض . لذا أراد الرجل أن ينهى الموضوع كليًا . وأن يستعين بى . لكن وبعد أن وافقت على تلبية بعض مطالبه شريطة أن يعطينى سرّ هذا السلاح . استيقظ ضميره ربما أو أنه أراد التراجع . أو ربما فكر بخطة أخرى .. لا أعرف . هرب من (سيلجوق) وكأنه يبحث عن شىء يريد الوصول إليه . بهذه الأثناء قمت بإعطائه بعض التعليمات . لولا تدخّلك الذى أخّر الموضوع كثيرًا وجعلنى أفقد ابنى . فقدته بسببك ..

ـ كان يريد أن يقتلنى !

صرخ بغضب شديد وهو ينهض عن المقعد . ويصفعنى بأقصى ما يملك من قوّة :

ـ اخرس ! كم أودّ لو أذبحك الآن لولا أنك لا تستحقّ الموت بسرعة . أريدك أن تموت ببطء بينما تحترق من الداخل ..

لم أهتمّ كثيرًا للألم . لأننى بدأت أفهم !

هذا الوغد يريد أن أكون مع تلك القنبلة البيولوجية . مع الزجاجة . مع (ثيلما) باللحظات الأخيرة قبل الانفجار وانطلاق الوباء المحدود ..

قال (شاهين) :

ـ ماذا تريد أن نفعل الآن يا سيدى ؟!

دار فى الغرفة حول نفسه أكثر من مرّة . وأشعل سيجارة أخرى رغم أن آخر سيجارة أشعلها ما تزال مشتعلة . لكنه لم ينتبه لهذا وقال :

ـ لا أريد أن يشكّ أحد بأى شىء . انتبهوا جيدًا لما سيحصل غدًا .

سيكون هناك كاميرات موزعة مع رجالنا خارج نطاق الانفجار ، سنؤكد كل شيء على الجميع غدًا ، المهم الآن أنني أريد أن أجلس مع نفسي ، غدًا اجتماع مهم مع بعض الوزراء بعد عدة ساعات ، في (ساتان) ، ممن يرغون بالأمر !

أفكر سريعًا ، ثمة وزراء على معرفة بما سيحصل .. وزراء يعملون لدى (توران) بالسر ، اشتراهم بأمواله التي تشترى دولًا بحالها ، لهذا كان يريد زجاجة (ثيلما) ، كي يريهم ويؤكد لهم جديته التامة في الموضوع ، لهذا طلب من (سيلجوق) أن يتخلص من (أورهان) ..

(أورهان) الذي لجأ للشخص الخطأ ، (أورهان) الذي لو كانت نظريات الزمن خاطئة ، سيكون الآن حيًا في مكان ما من ((إسطنبول)) ، لا يعلم أنه بعد ثلاثين سنة ، سيموت طعنًا في وسط شارع الاستقلال !

بغتة قفز سؤال من بين شفتي :

- هل فقد (أورهان) أشخاصًا في الحروب تلك ، التي سيمر بها العالم بعد ثلاثين سنة ؟!

نظر إليّ وقال :

- نعم ، كيف عرفت ؟!

- مجرد تخمين .. لن يلجأ إليك وهو يعلم أنك زعيم المافيا التركية ، إلا أنه على الأغلب عجز عن إقناع السلطات ..

فكر برأسه :

ـ فقد زوجته وأبناءه فى تلك الحرب ..

ثم اقترب منى وأخرج الزجاجة وقال وهو ينظر إليها :

ـ لكن ، لن يحصل أى من هذا ، لن تحصل تلك الحروب ولن يموت (سيلجوق) ولن يموت (أورهان) أيضًا ، بمجرد أن تنفجر هذه القنبلة غدًا فى المعرض ..

عقدت حاجبىّ فى تساؤل ، وقلت :

ـ ماذا ؟!

قال بحماس شديد للغاية ، وقد انقلبت سحنته إلى التفاؤل والفرح والمشاعر الجيّاشة :

ـ فكّر بها جيدًا .. عندما تنفجر القنبلة غدًا سيحصل خلل فى الزمن ، لن تحصل تلك الحروب فى المستقبل ، لن تموت زوجة هذا الرجل وأبناؤه ، لن يعود إلى هنا ليقتله (سيلجوق) ، مما يعنى أنه سيبقى حيًا فى المستقبل ، و(سيلجوق) أيضًا لن يكون أمامك كى تقتله لأنك لن تراه أصلًا فى أى مكان ، سيكون معى ، لن أرسله كى يراقب (أورهان) ثم ليقتله ! ببساطة لأنه لن يكون هناك (أورهان) فى زمننا الحالى !!

قالها وهو ينظر إلىّ وإلى (شاهين) ، ثم هزّ كتفى هذا الأخير وهو يسأله :

ـ .. هل تفهمنى ؟!

ـ نعم يا سيدى ، بالتأكيد .. سنعود لنقطة الصفر ، أى أنّ هناك انفجار حصل فى (إسطنبول) ، وسيحصل معنا شىء أشبه بفقدان الذاكرة ، لكننا

سنكون فى المنطقة الوسط . نحن نعرف ما حدث ، وبنفس الوقت هناك معلومات ناقصة ..

قال وهو يشير بيديه :

ـ سنضرب عدة عصافير بحجر واحد ، سنقتل عشرات الآلاف غدًا ، لكننا بموتهم سنمنع حروبًا سيموت فيها الملايين بعد ثلاثين سنة ، وسنرى العالم كله من هو (توران باموق) ، ومن هم المافيا التركية ، وسيتوسّل إلينا الجميع كى لا نفعلها مجددًا !

مجددًا ؟!

ما الذى تقوله ؟!

ـ هل تملك المزيد من المواد التى تكوّن هذا القنبلة ؟!

ـ لا ، ولكنّنى أملك أكبر مجموعة من العلماء فى العالم ، وسيجدون أو سيصنعون لى شيئًا يفعل مثلها تمامًا .. قريبًا أو قريبًا، لا يملكون خيارًا آخر .

تمتمت :

ـ أخشى أن تكون حروب المستقبل تلك ، بسببك أنت !

نظر إلىّ وشرد ذهنه بعيدًا لدقائق ، قبل أن يبتسم ابتسامة واسعة مجنونة وقال :

ـ وقتها سأكون أنا وأسرتى و(سيلجوق) فى أمان تام ، وسأكون

راضيًا جدًا عن أى حروب تقوم بسببى .. الآن وفى بعض مناطق (العراق) و(سوريا) ، ثمة عدد لا بأس به من الصراعات التى أموّلها بنفسى ، فقط كى أجنى المزيد من المال عبر بيع الأسلحة للمعارضة والجيش معًا .. هذه ألعاب سياسية لن تستطيع فهمها بسهولة يا عزيزى ..

قبل أن أعلق بحرف واحد أشار للرجل الضخم ، وقال له بلهجة آمرة :

ـ (سارى) ، خذه الآن إلى الغرفة فى الخلف ، تعرف ما يجب أن تفعله ..

وقف (توران) ليتحدث قليلًا مع (شاهين) ، بينما اتجه نحوى (سارى) وحملنى فجأة أنا والمقعد ، ما هذه القوة بالضبط ؟! قبل أن يأخذنى إلى غرفة خلفية ، صغيرة الحجم ..

وضعنى أنا والمقعد أرضًا ، ثم شمّر عن كمه ..

نظرت إليه :

ـ لا شكّ أنك تمزح ..

لكنه لم يكن يمزح ، وبدأ يلكمنى لكمة وراء الأخرى على بطنى وصدرى ، دون أن يقترب من وجهى ، لكمة فلكمة ، حتى فقدت الوعى من شدة الألم ..

.. وأنا أصرخ !

* * *

توقفت الحافلة أمام باب الفندق ، وهبط منها جميع الركاب وعلى وجوههم ابتسامة توحى بكمّ الاستمتاع الذى نالوه فى الرحلة ، وكمّ التعب الذى شعروا به أيضًا ..

نزلت (ديالا) ومعها (كريم) ، وكان (منذر) هناك فى استقبالهم :

ـ أهلًا ، الحمد لله على السلامة ..

ضحكت وهى تقول :

ـ يجب أن أقول لك ذلك بنفسى ، فأنت وصلت الآن ، الحمد لله على سلامتك ..

ـ عفو (منذر) ..

هذه كانت من (كريم) ، الذى قفز نحو (منذر) ، لكى يحتضنه ويقبله من رأسه ، قبل أن يشير إليه أن يذهب إلى أحد الرجال القريبين منه من رجال المكتب :

ـ هذا (مازن) ، معه لعبة (سبايدرمان) جديدة لك ..

نظر إلى أمه التى ابتسمت له وأشارت إليه أن يذهب للرجل ، ثم نظرت إلى (منذر) وقالت فى جدية وصرامة :

ـ حسنًا ، ما الذى يحدث مع (سامر) بالضبط ؟! لن أتحرك من هنا خطوة واحدة قبل أن أعرف بالتفصيل ..

زفر بقوة ، قبل أن يبدأ بالحديث ، ويخبرها بكل شىء يعرفه حتى هذه اللحظة ، وصولًا إلى أن (ديمترى) يحاول أن يتعقب مكان (سامر) بأى وسيلة ، وأنه ـ (سامر) ـ مع (توران) الآن ، وأنهما يجب أن يذهبا إلى مكان آخر ، خوفًا من أن يكون رجال (توران) فى الطريق إلى هنا ، بعد أن عرفوا هوية (سامر) بسرعة ، لا يعرفون كيف ..

قبل أن تقول (ديالا) أى كلمة تعليقًا على ما قاله (منذر) ، قال وهو يشير إلى الرجال بيده ، متجاهلًا انفعالات وجهها التى تشى بخوفها وقلقها وذعرها :

ـ المهم الآن أن نذهب للفندق ، سنحميه ونحرسك فلا تقلقى، وسيكون معك فتاتان اسمهما (سارة) و(صفاء) فى الغرفة ، فى حال حصل أى شىء ، كى تكون مطمئنين عليك أنت و(كريم) بشكل كامل ..

ـ و(سامر) يا (منذر)؟!

أطلق تنهيدة عميقة ، وقال بحدّة :

ـ (سامر) بخير ..

صعدت (ديالا) مع (سارة) إلى الأعلى كى تساعدها فى الحقائب وتسجيل الخروج ، بينما جلس (منذر) فى السيارة ينتظر اتصالًا من (ديمترى) .. مرّت دقائق قبل أن يتّصل (ديمترى) ويسأل :

ـ ما الذى حدث ؟!

أخبره بشكل مقتضب بما حدث ثم سأله :

ـ هل حددت مكان (سامر) ؟!

ـ اختفى تمامًا عن الخريطة ! حتى السيارة التى ركبها اختفت كليًا ، سأحاول البحث بطرق أخرى ، سأخترع وسيلة يا (منذر) لإيجاده ، صدّقنى.

انطلقت تنهيدة عميقة جدًا ، وحارة ، من صدر (منذر) ، وهو يقول :

ـ أرجو هذا يا (ديمترى) .. أرجو هذا ..

ثم نظر إلى باب الفندق الذى كانتا (ديالا) و (سارة) قد خرجتا منه مع الحقائب ، وكان وجه (ديالا) يوحى بكم الأسئلة التى تعصف بجسدها وخيالها ..

.. وكيانها كلّه !

* * *

اقترب (ديمترى) من البطريق ، وهو يمضغ بعض قطع البسكوت بصوت مرتفع ، قبل أن يسمع صوت دقات قوية على الباب ..

ـ من ؟!

صوت صارم من خلف الباب :

ـ (قاسم) يا (ديمترى) ..

أسرع نحو الباب وفتحه :

ـ أهلًا سيدى ، أهلًا ..

ألقى العميد (قاسم داود) إلى الشقة ونظر يمينًا ويسارًا ، لم يبد عليه الاستغراب من أى شىء ، ربما لأنه جاء هنا عشرات المرات من قبل ..

ـ ما الذى حدث مع (سامر) حتى الآن ؟!

أخبره (ديمترى) بشكل سريع ملخص ما يعرفه حتى الآن ، ليقول العميد بعدها :

www.riwaya.ga

ـ هل تعتقد أن السيارة داخل موقف خاص مثلاً ، ولذلك لم يستطع (فابيو) الوصول إليها ؟!

ـ نعم ، وحاولت أيضًا عن طريق الكاميرات فى الشارع ، لكننى وصلت إلى نهاية مسدودة .. سأحاول مجدداً وسأجد طريقة كى أعرف أين (سامر) وكى ينقذه (منذر) ..

ـ أرجو هذا ..

قالها وهو يشدّ قامته ، ثم انحنى للأمام قليلاً رافعًا حاجبيه ، وغادر المكان مع الرجل الذى جاء معه ، وكان ينتظر فى الخارج ..

عاد (ديمترى) إلى البطريق ، ومدّ أصابعه يتحسس جلده وهو يقول :

ـ ساعدنى ، أريد وسيلة أجد فيها (سامر) ..

بقى البطريق جامدًا كما هو فأردف :

ـ .. ألا تشتاق لأن تكون مع جنس يشبهك ؟! تخيّل لو أننى أستطيع أن أجمعك مع بطاريق ..

ثم سكت فجأة ، ولمعت عيناه ..

لمعت عينا (ديمترى) ، بحماس ، بلهفة ، وأمل ، وهتف فى البطريق بقوّة :

ـ شكرًا لوجودك فى حياتى !

www.riwaya.ga

ثم اتجه نحو مقعده وأغمض عينيه وهو يزفر بقوة ، وبدأ حوارًا عقليًا طويلًا مع (فابيو) ..

طويلًا جدًا !

* * *

النهار ..

النهار أخيرًا ..

الضوء يقتحم النافذة بهدوء ، لأفتح عينيّ ، وأحاول تجاهل الآلام الهائلة التي أشعر بها .. الوغد ظلّ يلكمني طوال الوقت ، كلّ نصف ساعة يلكمني مجددًا ، في النهاية وبعد أن فقدت الوعي عدة مرات ، أحضر لي شيئًا كي آكله ، بعض الخبز الجاف ..

التهمته بنهم وكأنه وجبة شاورما لحم مشوي على الفحم ! جوع وضرب كل نصف ساعة ؟! هذا كثير جدًا عليّ ..

لا شكّ أن (توران) و(شاهين) ذهبا إلى الاجتماع ، غابت أصواتهما ساعتين أمس في الليل ، قبل أن أسمعهما من جديد .. ذهبا للاجتماع بالتأكيد ، وأخبرا الوزراء عن تفاصيل الخطة الحقيرة للمرة الأخيرة ..

المشكلة أن هناك جزءًا جيدًا فيما سيحصل ، لكنه يجب ألا يحصل هكذا .. لو استطعت الفرار أو لو عرفت وسيلة لإيقاف ما ينويان عمله ، لا بدّ أن هناك حلًا ، لا بدّ أن هناك شيئًا يجب على أحد أن يفعله ليمنع تلك الجريمة

الهائلة التى ستحصل خلال ساعة أو ساعتين ربما ، والتى سيموت فيها الكثير جدًا من الناس ، أنا منهم طبعًا ، و(كريم) و(ديالا) !!

إنهما هنا ، فى الفندق فى (إسطنبول) ، إلا لو كان المؤتمر يبعد أكثر من الفندق بعشرين كيلومترًا على الأقل .. لا أعرف ، لا أريد أن أعرف ، أريد فقط أن أكون متأكدًا أنهما بخير !

كيف ؟!

الهاتف مغلق منذ أمس ، أغلقه (شاهين) وربما تخلص منه ، لا يوجد أى وسيلة كى أتواصل مع (ديمترى) و(منذر) .. ماذا يفعلان الآن ؟! هل يحاولان فعل أى شىء ؟! لا شكّ فى هذا ، هما خبيران محترفان وسيفعلان شيئًا ..

أرجو هذا ! يا رب !

فجأة قطع حبل أفكارى صوت الباب وهو يفتح ، (سارى) طبعًا ، الرجل الضخم ، حملتى مرة أخرى أنا والمقعد نحو غرفة المكتب ، كان هناك (شاهين) وبجانبه (توران) ، كان متأنقًا بشدة ، وكان يمسك بين يديه كأسًا صغيرة فيه مشروب أصفر ، خمر بالتأكيد ، هذا يكمل الصورة بشكل ممل ..

– (سامر) ، إنها المرة الأخيرة لك معنا !

قالها وهو يضحك ، قبل أن يرسم ملامح الجدية كلها على وجهه ويقول :

ـ .. بالمناسبة ، أعلم جيدًا أنك مع زوجتك وابنك ! لكن وبعد أن درست الأمر جيدًا ؛ لن أرسل أحدًا ليقتلهما فى الفندق ولن أفاوضك على شىء بشأنهما ، فأولًا تم نقلهما إلى فندق آخر فى (إسطنبول) ، والفندق محمى بحراسة مشددة جدًا ، وثانيًا وهو الطريف فى الأمر : الفندق الذى هما فيه الآن يبعد عدة كيلومترات عن مكان المؤتمر ! أى أنّ الانفجار سيقضى عليك وعليهما وعلى الجميع كما أخبرتك ، كلّ من فى حدود العشرين كيلومترًا ..

هتفت :

ـ ورجالك ؟! وعقاراتك التى هنا ؟!

ضحك ضحكة طويلة :

ـ بعت كل ما أملك فى (إسطنبول) منذ فترة قريبة ، ورجالى كلهم سيكونون خارج نطاق الانفجار .. لا تقلق علىّ ، أعرف جيدًا ما الذى سأفعله ..

ثم نظر إلى (شاهين) ، وأشار برأسه ..

لا أدرى بعدها كيف مرّ الوقت بسرعة ، ربما لأن المرء عندما يتمنى توقف الوقت يمرّ سريعًا رغم أنفه .. كمموني وغطوا وجهى وأحكموا تقييدى جيدًا بشكل يمنعنى كليًا من الحركة ، ثم شعرت بنفسى محمولًا ، هذا (سارى) بالتأكيد ، الذى رمانى فى الصندوق الخلفى لسيارة ما ، قبل أن تمشى السيارة فى عدة شوارع ، وتتوقف فى مكان لا أعلمه ..

فتح الصندوق ، أخرجنى (سارى) ، نزع عنى غطاء الوجه وأبقى فمى

مكمما كما أبقى قيودى التى تربط يدىّ وساقىّ .. الجو بارد ، نظرت حولى ، أنا فى مكان أشبه بموقف سيارات مهجور ، نعم ، هذا واضح ، لا يوجد أحد غيرى أنا و(شاهين) الذى يقف أمامى ومعه الزجاجة ، وبجانبه (سارى) الذى ألقى بى على الأرض ، ووقف منتظرًا لأى أوامر أخرى من (شاهين) ..

قرّب هذا الأخير الزجاجة من فمه ، وهمس وهو ينظر إلى وجهى بابتسامة صفراء :

ـ (كراولى) !

هذه هى الكلمة إذًا ، قالها فنظرت جيدًا إلى السائل ، يبدو أن بخارًا يخرج منه .. لقد فهمت (ثيلما) هذه الكلمة ! إنها ذكية فعلًا كما قال (توران) ! عبقرى هو (أورهان) ولكن كان يجب أن يخترع شيئًا آخر .. عبقرى ، لكنه دون أن يدرى سيكون سببًا فى قتل عشرات أو مئات الآلاف خلال ساعة من الآن !

وضعها بجانبى فى حرص ، ثم قال :

ـ أى محاولة منك لرجّها أو خضّها أو كسرها ستبوء بالفشل ، كما أنها ستسرّع من العملية أكثر ، لا أنصحك بفعل أى شىء ..

قالها ثم ركب بالسيارة هو و(سارى) ، وغادرا المكان بأقصى سرعة ، بينما نظرت أنا إلى الزجاجة دون أن يخطر فى بالى شىء ، إلا فكرة واحدة :

سأموت ..

.. ستكون هنا نهايتى !

* * *

تجاهل (منذر) اتصالات (ديالا) المتتالية ، وقال وهو يركب السيارة ، ممسكًا الهاتف بيده :

ـ نعم يا (ديمترى) ، ما الذى حدث ؟!

أتاه صوت (ديمترى) مشرقًا كالشمس التى منحته شعورًا جميلًا فى هذا الجوّ :

ـ اسمعنى جيدًا ؛ أنت تعلم أن (سامر) اختبأ فى مستودع مهجور بعد أن قتل (سيلجوق) ، وأنه وقبل وصول الشرطة إليه مباشرة أرسلت شعاعًا كهرومغناطيسيًا بمعاونة (فابيو) كى تخفى جسده فحسب ، وأنّ هذا الأمر نجح ، فلم يره الشرطى ، وغادر المكان سريعًا ..

قال (منذر) بنفاد صبر :

ـ نعم ، قلت لى هذا ..

أكمل (ديمترى) بكلّ حماس :

ـ عندما فعل (فابيو) هذا كان الشعاع الشفاف محيطًا لجسد (سامر) من كل الجهات ، وفى هذه اللحظة كان قد حلّل جسده والتقط إشارته الجينية ..

ـ إشارته الجينية ؟!

ـ نعم ، دعنى أشبه الأمر لك بإذاعات الراديو .. لكل جسد إشارة جينية خاصة به ، لها ترددها الخاص ، و ..

قاطعه (منذر) :

ـ هل تقصد أنك تستطيع تتبع إشارة (سامر) الجينية والتى التقطها الشعاع ؟!

صمت قليلًا ثم قال :

ـ نعم ، بالضبط .. شىء كهذا وإن كان أكثر تعقيدًا بقليل ، لكنك قلت الخلاصة ، تمامًا ..

ـ رائع ، هل فعلت هذا الشىء ؟! هل فعلت النظام ؟!

ـ نعم ، وقد وجدت (سامر) منذ دقيقة واحدة فحسب ..

هتف (منذر) بكلّ حماس وحزم وهو يدير مقود السيارة وينطلق بأقصى سرعة :

ـ أين ؟!

ـ سأبعث لك الموقع الآن ، المشكلة أن (سامر) يبدو ثابتًا لا يتحرك .. أخشى أن يكونوا قد قتلوه !

ـ لا ، لا تقل هذا .. سأجده حيًا وسأنقذه بإذن الله ، وسأخبرك بما يحصل معى ..

ـ وأنا سأقول للسيد (قاسم) أن يقول للسلطات التركية عن الخطر المحتمل ، وعن الذى سيفعله (توران) فيهم خلال مؤتمر السلاح .. لا أعرف ما الذى يحدث بالضبط لكن من الواضح أنّ هناك شيئًا خطيرًا سيحدث ، (سامر) هناك ، فى الموقف الذى تحت القاعة التى يقام فيها المؤتمر يا (منذر) .. يبدو أن انفجارًا سيحدث وسيكون المؤتمر هو المركز ، هو

نقطة الصفر ، هو البداية للنهاية .. لا تعرف أى شىء ، ولذا عليك أن تبقى متصلاً بى وأنت هناك عندما ترى (سامر) ..

- حسنًا ..

ثم أنهى الاتصال وأرسل له (ديمترى) خريطة الموقع ، جيد جدًا ، الموقع ليس بعيدًا عنه ، زاد من سرعة السيارة وبدأ يمرّ بين السيارات بمهارة ..

.. المهمّ أن يصل (سامر) قبل حصول أىّ شىء !

* * *

استرخى (توران) فى مقعد سيارة المرسيدس الحديثة وهو ينظر إلى الرجال الذين يغادرون المبنى معه .. كلهم ركبوا فى السيارات ومشوا خلفه بينما يسير هو متقدمًا الموكب ، يقود (سارى) السيارة متوجهًا نحو بيت (أوران) على حدود (إسطنبول) ..

جاءه اتصال من (شاهين) فأجابه فورًا :

- نعم يا (شاهين) ..

أتاه صوت (شاهين) ، الذى يشرف بنفسه على بعض الكاميرات التى تصوّر ما سيحدث من فوق مبنى كبير ، يطل على كل (إسطنبول) :

- تستطيع الآن أن ترى البث بوضوح يا سيد (توران) ، سنسجّل الحدث بعدة كاميرات كى ننشره فى كل العالم ..

ـ حسنًا ، جيد ..

أنهى الاتصال وفتح الرابط الذى أرسله (شاهين) له ، المشهد من الأعلى ، الكاميرا تصوّر كل (إسطنبول) فعلًا ، والمدينة هادئة للغاية لا يعرف سكّانها ما هو على وشك أن يحصل ، خلال دقائق سيتغيّر هذا الأمر ، وستتفجر سحابة هائلة من الشظايا والأشلاء والدماء .. لن يكون مشهدًا جميلًا ، ولكن الكاميرات ستجعله جميلًا حتمًا !

أخذ يتابع الفيديو بشغف ، ناظرًا كل ثوانٍ إلى ساعة يده ، منتظرًا بأى لحظة دوىّ الانفجارات المتتالية ، التى ستهزّ (تركيا) كلها ، والعالم بأسره !

* * *

وأنا لا أعرف شيئًا عن هذا كلّه ، ملقى على الأرض ، عاجز عن عمل أىّ تصرف ، مع كلّ هذه القيود المحكمة .. حاولت أكثر من مرة دون جدوى ، (سارى) جيّد فيما يفعله !

(ثيلما) ، القتيلة البيولوجية ، على بعد مترين منى ، لن أحاول فعل شىء معها لأننى قلق من أن يكون (شاهين) صادقًا ، وقتها سأعجّل بالنتائج أكثر وهذا ليس من مصلحة أحد ..

أين (ديالا) الآن ؟!

فى الفندق مع (كريم) و(منذر) ؟!

نعم بالتأكيد (منذر) معهما ما دام أخبرنى (توران) إنهما نقلا إلى فندق جديد ..

أين (ديمترى) ؟! ما الذى يفعله ؟!

فجأة سمعت صوت سيارة يقترب منى ، بصعوبة حركت جسدى ووجدت أجمل منظر يمكن لى أن أراه فى حياتى ..

(منذر) يقود السيارة بأقصى سرعة ، أوقفها بجانبى وهبط منها على الفور قبل حتى أن تتوقف تحوى ، أشهر مسدسه يمينًا ويسارًا احتياطًا للا يكون هناك أحد من رجال (توران) ، أصدرت صوتًا عاليًا من حلقى فاقترب سريعًا ثم نزع الكمامة من فوق فمى ، فأخذت شهيقًا عميقًا بينما سألنى بقلق وهو يضع يده على كتفى :

ـ هل أنت بخير ؟!

ـ بخير ، بخير .. فك قيودى يا (منذر) ، بسرعة ..

فعلها وبدأ فورًا يشق قيودى ، أخرج سكينًا صغيرة جدًا من سلسلة مفاتيحه وبدأ بسرعة وحزم يمزق القيود ، تحررت اليد الأولى فالثانية ، ثم قيود الساقين .. أخيرًا ..

نهضت ووقفت على قدمى ، شعور الحرية الجميل ، شعور التخلص من تلك القيود ومن العجز الكامل الذى رافقنى منذ الأمس وحتى اليوم !

ـ القنبلة يا (منذر) ..

فعلها وأنا أمسك الزجاجة وأحملها فى يدى ، كان السائل يقلى فى الداخل ، ملئ وفيه الكثير من الفقاعات ، والزجاجة لا أعرف كيف ، صارت فجأة ثقيلة الوزن ! ربما أكثر من كيلوجرامين ..

ـ ماذا سنفعل ؟!

ـ لا أعرف ، اتصل مع (ديمترى) سريعًا ..

اتصل معه مباشرة ، وفور أن سمعت صوت (ديمترى) يجيب الاتصال بادرت بالقول بأسرع ما عندى :

ـ لا يوجد وقت يا (ديمترى) ، الزجاجة التى معى ذكية وقد قال (شاهين) مساعد (توران) لها كلمة ، فتلعثت ، وهذا منذ ساعة تقريبًا .. القنبلة ربما تنفجر خلال دقائق ..

ـ ماذا سيحدث لو انفجرت يا (سامر) ؟! ما مدى قوتها بالضبط ؟! هل أخبروك ؟!

ـ سيتم تدمير كل شىء ، وموت كل شخص ، فى حدود عشرين كيلومترًا من حولنا !

شهق (منذر) بالتزامن مع (ديمترى) ، قبل أن يقول هذا الأخير بعد أن صمت لعدة ثوانٍ :

ـ (سامر) ، اخرج بها للشارع سريعًا ..

ـ بالزجاجة ؟!

ـ نعم ، للشارع .. الآن ..

ـ ماذا ستفعل ؟!

ـ سأحاول إنقاذ الموقف ..

أمسكتها بين يدى بحرص شديد ، وركبت بجانب (منذر) فى السيارة وأنا أخبره بما قاله (شاهين) عن تحريكها بسرعة أو رجّها وخضّها .. تلك السيارة حتى وصلنا الشارع ، الكثير من الناس والزحام ، والكثير من سيارات الشرطة ، ابتعدنا قليلًا عن الجمع ، هذه ساحة كبيرة ، نزلت وهى بيدى اليسرى ، أمسكها بكل قلق وتوتر وتردد ..

أنا أمسك بين يدىّ بزجاجة ، لا يعرف أىّ أحد من حولى أنها سلاح رهيب ، سيقوم بقتل عشرات الآلاف خلال دقائق ، ما لم يجد (ديمترى) حلًا !

- معى يا (سامر) ؟!

قلت ببطء :

- نعم ، معك ؟!

- ضعها على الأرض ..

وضعتها ، بينما أكمل :

- .. ابتعد عنها قليلًا الآن ، بسرعة ..

ابتعدت أنا و (منذر) إلى الخلف عدة أمتار ، قبل أن يحدث فجأة شىء غريب ومخيف ، خلال ثوانٍ معدودة ..

ازداد الظلمان أكثر فى الزجاجة ، وبدأت تخرج أصوات متتابعة كصوت فقاعات تتفجر ، أصوات تعلو تصاعديًا من الداخل ، ثم بدأت الزجاجة بالتحرك والاهتزاز ببطء من تلقاء نفسها ..

فجأة سقطت على جانبها . وقبل أن أصرخ ، وقبل أن أهتف بأى كلمة وأى حرف ..

.. انفجرت !

* * *

فجأة شعرت (ديالا) بصدرها ينقبض من الداخل ..

نظرت إلى (كريم) النائم بعمق حتى الآن وقد انتصفت الشمس فى السماء ، ونظرت إلى التلفاز مجددًا ..

مؤتمر صناعة السلام ما يزال قائمًا ، الكثير من اللقاءات ، الكثير من التصوير ، الكثير من الشخصيات المهمة والوزراء والمشاهير فى الحفل ، لا شكّ أنه فى غاية الأهمية ..

كانت قلقة للغاية ، (منذر) يتجاهل اتصالاتها ، (ديمترى) يتجاهل اتصالاتها ..

ما يزال هاتف (سامر) مغلقًا حتى الآن !

هل (سامر) هنا فى هذا المؤتمر ؟!

هل عندما سألت (منذر) عن المؤتمر ولم يجبها ، كان هذا لأن (سامر) على علاقة بشىءٍ ما يحصل معه فيه ؟!

حتى العميد (قاسم داود) والذى معها رقمه الخاص ، والذى قال لها (سامر) ألا تتصل به إلا للضرورة القصوى ، اتصلت به عدة مرات ولم يجبها أيضًا !

لماذا ؟!

هل مات (سامر) ولا يريد أحد أن يخبرنى بذلك ؟!

.. تفجر هذا السؤال فى أعماقها قبل أن تتفجر عيونها بالبكاء !

* * *

أغمضت عينىَ فى استسلام وأنا أصرخ ، لكن ..

لم يحدث شىء !

انفجرت الزجاجة ، وتناثرت شظاياها فى دائرة نصف قطرها متر واحد فقط ، وكأن هناك حاجزًا مرئيًا يمنع أى شىء من الخروج ..

أنقذت الموقف يا (ديمترى) ..

أنقذتنا يا (ديمترى) ..

أنت و (فابيو) ، أنقذتما (إسطنبول) من مجزرة مأساوية ، لم ير العالم مثلها منذ سنوات طويلة للغاية ..

أطلقت تنهيدة عميقة وأنا أتهاوى على الأرض ، بينما انتبه البعض إلى ما يجرى واقتربوا منا ، محاولين فهم ما يحدث حول الزجاجة ، وكل هذا الغبار أو الدخان الذى يبدو محبوسًا فى قلب أسطوانة لا يتجاوز نصف قطرها مترًا واحدًا ، فى الهواء ..

فى هذه الأثناء لم أكن أعرف أنَ (توران) كان ينظر فى ساعته بغضب ، ويصرخ ، وهو مع (شاهين) فى البيت :

www.riwaya.ga

ـ لم تنفجر يا (شاهين) .. لم تنفجر ..

صمت (شاهين) تمامًا ولم ينطق بحرف ، بينما قال (توران) وهو يتابع صراخه وصياحه فى ثورة :

ـ .. لا شكّ أن أحدًا قام بإنقاذ (سامر) ، وقام بعدها بوسيلة ما باحتواء قوة انفجار (ثيلما) .. لا أدرى كيف ولكنّ هذا حصل، مرّت أكثر من ساعة .. لا يمكن أن يكون (أورهان) مخطئًا، القنبلة انفجرت كما هو مخطّط لها ولكن ثمة من احتواها ..

وصرخ بقوة وشراسة أكبر :

ـ .. اقتلوهم يا (شاهين) ! اقتلوهم !

ـ لن تقتلوا أحدًا ..

انطلق الصوت من خلفه فالتفت بحركة حادة مستفسرًا وعلى وجهه كل علامات الغضب ، كان هناك رجل أسود البشرة ويرتدى منظارًا أسود اللون داخل البيت ، وكان بجانبه مجموعة من القوات الخاصة التركية ، كلهم ملثمون ، وكلهم مسلحون ، والأسلحة كلها مصوّبة نحو صدره ورأسه ، ونحو (شاهين) ..

ـ ألا تعرفون من أنا ؟! ما الذى تفعلونه هنا ؟!

قالها بثقة شديدة وهو ينظر إليهم بلا مبالاة ، تحوّلت إلى فزع شديد حاول إخفاءه عندما أجابه الرجل الأسود :

ـ نحن من الاستخبارات التركية ، أنت قيد الاعتقال بأمر مباشر من

www.riwaya.ga

رئاسة الدولة ، لدينا معلومات مؤكدة عن ضلوعك فى تفجير كان على وشك أن يتمّ قبل دقائق من الآن ..

حاول (توران) أن يقول شيئًا ، حاول أن يعترض أو أن يهدّدهم لكنهم كانوا أقوياء وسريعى الحركة ، سرعان ما ضربوه بكعب أحد الأسلحة الرشاشة على مؤخرة رأسه هو و (شاهين) ليسقطا فاقدى الوعى ، وينطلق بهم الرجل الأسود والرجال الملثمين فى سيارات سوداء معتمة ، نحو جهة مجهولة ..

.. جهة رئاسية !

* * *

بعد نصف ساعة كانت (ديالا) عندى مع (كريم) ..

اللقاء كان مشحونًا بالعاطفة والحب واللهفة ، اطمأنّت كثيرًا على صحتى وحالى وسألتنى ألف مرة عن الكدمات التى على وجهى وجسدى كله ..

الألم شديد ، الألم فى كل موضع ببطنى وصدرى ، على الأغلب ثمة ضلع مكسور أو أكثر .. لكن هذا لا يهمّ ، المهم أننا بخير ، كلنا ، وأن هذا الانفجار اللعين لم يحصل ، بعد أن احتواه العبقرى الخاص بنا ، (ديمترى) الجميل ، سأشكره بطريقتى ، هذا الذى أثبت أن الفيزياء الكيميائية قادرة على هزيمة القابل البيولوجية القادمة من المستقبل ..

سيارة الإسعاف بجانبى ، والطبيب يفحصنى .. نظرت (ديالا) إلىّ وقالت :

www.riwaya.ga

– الحمد لله على سلامتك ، المهم أنك بخير ..

ابتسمت فى وجهها وقلت :

– بقى شىء واحد ..

– لا تقل شيئًا ، انتهينا ..

نهضت أمام عينيها المندهشتين المتسائلتين ، وقلت :

– بل بقى شىء واحد فقط ، خلال نصف ساعة سآتيك .. انتظرينى ..

طلبت من (منذر) مفتاح السيارة ولكنه أصرّ أن يقودها لأننى متعب ولن أقود كما يجب ، وافقت ، بينما هتفت (ديالا) :

– إلى أين ستذهب ؟!

– إلى صديق لا بدّ من زيارته ..

قاد (منذر) السيارة نحو المكان الذى طلبت من (ديمترى) أن يبحث لى عنه ، حتى وصلنا ..

بيت بسيط من طابقين ، نزلت من السيارة ومشيت حتى الباب ، وطرقته ..

فتح لى الباب شاب وسألنى عما أريد ، ابتسمت فى وجهه وقد أيقنت أن نظريتى كانت صحيحة ..

هذا هو أمامى ، (أورهان أوزرلى) ، شاب لم يمت بعد ، ولا يعرف أنه بعد ثلاثين عامًا سوف يموت هُنا فى هذا الزمن ، قبل يومين من الآن ..

كيف أخبره أنه مات قبل أمس ؟!

www.riwaya.ga

بصعوبة شديدة أقنعته أن أجلس معه بعض الدقائق ، ثم أخبرته عن (ثيلما) ، وكلمة السر (كراولى) ، وعن (توران) ، وعن موته وانتقامى من (سيلجوق) الذى قتله .. قلت له كلّ شىء وفاجأنى : هو معجب جدًا بزعيم المافيا التركية ويرى فيه رجلًا صالحًا ، كما أنه يقرأ الكثير من الروايات ، وقد مرت عليه هذه الكلمة ، (ثيلما) ، أكثر من مرة ، و(كراولى) اسم ساحر شهير جدًا .. لا شكّ وبشكل أو بآخر ، أن ثقافته نجحت رغم أنفه فيما يفعله من صناعة وإنتاج ..

سمعنى وسمع كل ما قلت له ، وقال إنه بدأ منذ أيام بالعمل على سلاح بيولوجى جديد ، يشبه جدًا ما قام بتطويره بعد ثلاثين عامًا من الآن !

- لا شكّ أنه تطوير متعدّد المراحل لما أقوم به الآن ..

تفهمنى ، ووعد بأنه سيركّز جهده فى الأيام والأعوام القادمة على صناعة أشياء ، من شأنها منع أى حروب ستقوم فى المستقبل ، بعد عشرة أعوام أو ثلاثين عامًا .. كما أنه مهما حدث معه لن يعود من المستقبل للماضى ، لن يكرّر ما حدث مجددًا !

سألته بفضول :

- ما الذى تعتقد أنه سيحصل الآن ؟!

- بماذا ؟!

- بكل شىء ، (توران) و (شاهين) ومن معهم فى السجن ، أنت حى لم تزل ولن تعود من المستقبل للماضى لأنك أصلًا لن تكمل صناعة (ثيلما) ،

www.riwaya.ga

مما يعنى أن (سيلجوق) سيعود وأن كل ما حدث لن يحدث ! كيف ما زلت مستمرًا بالحديث معك ؟! كيف وقد انتهى ..

فجأة صدر صوت ضجيج مرتفع للغاية !

فجأة أظلمت الدنيا أمامى ودار رأسى بشكل غريب جدًا ، ما هذا ؟! ما الذى يحصل ؟!

دوار .. دوار .. أشعر أننى سأفقد الوعى ، لا ، أرجوك ، فقدت الوعى كثيرًا هذه الفترة ..

فجأة وجدت أننى فى شارع (الاستقلال) ، أجلس على المقعد بمواجهة (كريم) و (ديالا) ..

غريب !

لماذا تبدو الرؤية مشوشة حتى هذا الحد ؟!

لماذا أشعر بجفاف فى ريقى وفمى ؟!

ـ هل هناك شىء يا (سامر) ؟!

سألتنى (ديالا) ، نظرت فى وجهها ، نحن فى ذلك المطعم الذى اخترناه دون معرفة سابقة .. اخترناه فقط لأنه مزدحم بالناس ، ووجدنا بصعوبة طاولة عند الشرفة ، فى الطابق الثانى ، مطلّة على الشارع ، وتكشف الكثير مما يدور بالأسفل ..

نعم ، طلبنا بعض الأطباق التى لا نعرفها ، فما فائدة أن تكون فى بلد غريب عنا بكل شىء ، وأن نطلب منه صنفًا نعرفه ونكاد نملّ منه فى بلدنا ؟!

www.riwaya.ga

ليس هناك أجمل من تجربة طعم جديد ومختلف !

لحظة ، لماذا يبدو هذا مكرّرًا ، لسبب لا أعرفه ؟!

غريب !

ـ (سامر) ؟!

كرّرت ذكر اسمى بصوت أعلى ، ابتسمت وقلت بهدوء :

ـ لا ، لا شيء ..

قالت بارتياح وهى تدس لقمة من الطعام فى فم (كريم) :

ـ لا تنسى ، هذه الرحلة خاصة بنا ، لن يكون لك هنا أىّ عمل متعلق بك ..

ـ نعم ، نعم ، بالتأكيد ..

فجأة رن هاتفى ، هذا (ديمترى) ، أجبت الاتصال :

ـ نعم يا (ديمترى) ..

ـ الحمد لله على سلامتك ، كيف (إسطنبول) ؟!

ـ بخير ، نحن فى شارع (الاستقلال) الآن .. هل هناك شيء بشأن العمل ؟! أنا فى رحلة عائلية الآن ، أرجو ألا يكون لديك أى شيء بشأن الإدارة يا (ديمترى) ..

قال :

ـ هو فقط سؤال واحد يا (سامر) ..

www.riwaya.ga

تنهدت وأنا أغمز بعينى لزوجتى ، وقلت :

ـ تفضل ..

ـ هل مر عليك اسم (توران باموق) قبل اليوم ؟!

أدرت الاسم فى رأسى ، الاسم تركى جدًا ، لم أسمع به من قبل.. من هذا الرجل الذى تسألنى عنه الآن يا (ديمترى) ..

وكأنّ هذا وقتك !

ـ لا ، من هو ؟!

ـ إنه زعيم المافيا المنظمة فى (تركيا) ..

قلت بنفاد صبر متجاهلًا نظرات اللوم من (ديالا) :

ـ وما شأنى به ؟!

ـ فقط أردت أن أسألك عنه ، لمع الاسم فجأة فى ذاكرتى عندما استيقظت من نومى قبل قليل ، وشعرت أننا نعرفه ، الغريب أن (منذر) يقول إنه يعرفه ..

ـ ربما ذكره أحدهم أمامكم مرّة ..

غمغم :

ـ ممم ! ربما .. المهم الآن أننى أعتذر عن الإزعاج ، أبلغ سلامى لزوجتك وابنك ، استمتعوا .. سلام ..

وأنهى الاتصال ..

نظرت إلى (ديالا) وقلت :

ـ حسنًا ، سأغلق هاتفى حتى نهاية الرحلة ..

وانهمكت فى تناول الطعام ، وأنا أنظر نحو الناس ، والزوّار ، والزحام ، والمقاهى ، والمتاجر بكافة أشكالها وأنواعها ، وبأولئك الموهوبين الذين يغنون أو يعزفون أو يرقصون على جوانب الطريق لكسب بعض المال ..

نظرت إلى (ديالا) و (كريم) ..

ستكون رحلة ممتعة ..

.. ولن يحصل فيها أى شىء على الإطلاق !!

تمت بحمد الله

لتحميل المزيد من الروايات الحصرية
زوروا موقعنا
مكتبة رواية
www.riwaya.ga

روايات مصرية

تاكسى
5

مغامرات مجنونة لسائق تاكسى غريب الأطوار

حسن الجابى

الزائر

رحلة سياحية فى (تركيا) تتحوّل إلى جحيم حقيقى ، و(سامر) يقتل أحدهم بعد أن يطعن رجلًا وسط شارع (الاستقلال) فى (إسطنبول) ، قبل أن يكتشف أن الأمر أكبر من مجرد طعنة ، بكثير جدًا !!

www.riwaya.ga

الخط الساخن
19350

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

العربية الحديثة

08041005